

كتاب الجمهورية

حواري لها تاريخ

نجوان محرم



كتاب الجمهورية

حواری .. لها تاریخ

نجان محرم

إهداء

إلى من علمتني كيف أحب الحرف .. وأحترم الكلمة ..
إلى أمي ..
وإلى يحيى السعيد ..
زوجي وصديقي .. وأستاذي في الحياة

المقدمة

الزمان : عام ١٩٧٩ ...
والمكان : القاهرة المعز ..
سيدة المدائن .. وقاهرة الزمان ..

والقلب يخفق مع كل خطوة على أرض الحوارى العتيقة التى شهدت
أعجادا .. وعاشت أزمانا مليئة بالعز والعزوة ... وعلى أرضها دارت معارك
وسقط ثوار ... وتنفست كرامة وعشقا لمصر المحروسة ... وقهرت طغاة ...
وغزاة .. ومعتدين ... وعاشت فى وجدان الزمان ألف عام ويزيد ..
قاهرة ... قادرة ... غالبية .. فلا نامت أعين الجبناء ...!!

* * *

وجهتى كانت الحوارى القديمة فى القاهرة المعز ...
أى القاهرة الحقيقية ... القاهرة الناس البسطاء الطيبين ...
وفى هذه الحوارى الصغيرة الحجم ... الكبيرة المعنى عشت شهورا
طويلة ... وخرجت منها وقد تعمقت مصريتى أكثر ... ولمست تماما معنى
كلمة مصر ...
فى أعماق هذه الحوارى تحيا مصر الحقيقية ويحيا المصرى الأصيل ..
المصرى الذى لم تتغير صفاته منذ آلاف السنين ...
المصرى الذى يحمل صفات الطيبة .. والبساطة .. والجدعنة .. وعشق
العمل .. والتكافل .. والرحمة .. وعزة النفس الرائعة التى يعمقها إتقانه لحرفته
اليدوية التى توارثها فى حارته البسيطة منذ ما يزيد عن الألف عام ..
كبرياء العمل .. وليس كبرياء المال ... الفرحة الحقيقية لكل ما يصيب
الآخرين من خير ...

حتى المعارك الصغيرة داخل هذه الحوارى وما أبسط أسبابها عادة ... ما أسرع ما تنتهى بالقبالات والأحضان وتقبيل الرؤوس .. « وإخزاء » الشيطان الذى هو عادة فى كل خناقه تنتهى الآراء إلى أنه السبب الأكيد وهو وحده المدان .. أما هم أهل الحارة فأناس طيبون ليس للغل أو الحقد فى قلوبهم مكان ..

محدودية الرزق خلقت فيما بينهم نوعا من التعاون والخوف على بعضهم البعض والتوحد ضد ما يمكن أن يكون من غدر الزمان ... والرزق فى النهاية نصيب مقسوم ...

فى الحارة قد يتجاوز اثنان يمتهان نفس الحرفة أو يبيعان نفس الأشياء .. والرضا يلقي بظله على الجميع . هذا كسب الكثير .. وهذا رضى بالقليل ففى النهاية هو شأن الله مقسم الأرزاق ..

ولقد مر على كتابة هذه التحقيقات وعددها ٤٢ تحقيقا صحفيا فى ٤٢ حارة قاهرية عشر سنوات .. تغير ولا شك بعض ما جاء بها من وقائع وأحداث لكن الجوهر فى الحارة مازال هو ... هو بعد عشر سنوات .. بل إن معظم الحوارى التى كتبت عنها مازالت تحتفظ بنفس الاسم القديم منذ ما يزيد على الألف عام ..

* * *

فى هذه الحوارى رأيت كنوز مصر الحقيقية .. وعزها القديم واستنشقت عطر الزمان .. السعيد والماضى الجميل ...
فى هذه الحوارى أصابع « تلف » فى حرير تمارس حرفا يدوية تبهر السياح ...

فى الحارة يصنعون أشياء لا تستطيع أى آلة صنعها بهذا الفن والإتقان ... ومازالوا هم فى حوارهم التى عمرها من عمر القاهرة المعزية يهرون بها العالم ويديرون بها الرؤوس ... واسألوا من يأتون من أبعد البلاد ليبهروا بالدق والنقش على النحاس .. ونقش الذهب ... وتلوين القماش .. وزخرفة الخيام .. وتطوير القصب .. وترصيع الفصوص ... وفى الحوارى هم بعد ذلك كله متواضعون لا يشعرون أنهم يصنعون عجا ...

وفى الحارة التدين الفطرى العميق ... هم يتنفسون الدين فى كل ثوانى حياتهم ... وهم يذوبون عشقا فى حب النبى وآل بيته الكرام .. هم يديرون قرآن الصبح عند الاستفتاح فى كل دكاكين الحارة ويستمعون إليه فى شغف شديد ...

ثم هم يستعملون فى كلامهم مصطلحات .. ما أرقها وأعذبها حين يستحلفونك إلا فعلت هذا وحياة أبو فاطمة أو صلى ع الى حاشفع فيك ... وغلاوة الحبيب المصطفى إلا فعلت كذا ... وكيت ...

* * *

ولا أستطيع فى النهاية إلا أن أشكر هؤلاء الناس ساكنى الحوارى العتيقة فى قاهرة المعز ... فلقد فتحوا لى قلوبهم ... وفتحوا لى عيونى على أجمل مافى بلدى .. الناس الطيبين ...

ولقد خرجت من هذه الحوارى بهذه الموضوعات منذ عشر سنوات كاملة ... لكنهم وبصدق شديد دخلوا جميعا قلبى ... ولم يخرجوا منه حتى الآن ..

نجوان محرم

القاهرة أغسطس ١٩٨٩

زقاق المدق



زقاق المدق بعد ٣٠ سنة .

ماذا بقى من زقاق نجيب محفوظ .

حميدة وعباس الحلو .. والدكتور البوشى .. وزیطة صانع العاهات ..
والمعلم كرشة صاحب القهوة .. وعم كامل صانع البسبوسة السمينة ..
والمعلمة حسنية وزوجها جعدة .. وست-سنية عفيفى مالكة المنزل القديم ..
أسماء كلها لمست بقوة خيال كل من قرأ رائعة نجيب محفوظ « زقاق
المدق » فى الأربعينات ..

* * *

فى عام ١٩٤٧ كتب الكاتب الكبير مجسد مأساة الزقاق الصغير الذى
مرت علیه الحرب العالمية الثانية فما أصابت فيه جدارا ولا دمرت منزلا . لكنها
خلفت وراءها فى أعماق الزقاق جرحا نازفا على الدوام ..

خلق الكاتب الكبير من الزقاق الصغير فى قصته الرائعة صورة مصغرة
لمصر وما جرت علیه الحرب العالمية الثانية من ويلات رغم أنها لم تكن طرفا فيها
ومع ذلك فقد أثختها الجراح ..

ومرت الحرب على الزقاق فسلبته أحلى ما فيه .. حميده وعباس الحلو
الحلاق ..

فأما حميدة فأتت الزقاق فانحرفت تحت تأثير قواد تبیع جسدها للإنجليز ..
وأما عباس الحلو فقد مات أيضا بيد سكارى الإنجليز وهو يحاول أن يسترد أمله
الحلو .. أو حميدة النقية كما كانت عندما خلفها وراءه فى الزقاق قبل أن يذهب
للعمل فى معسكرات الإنجليز ..

كان هذا هو زقاق نجيب محفوظ الذى ذاق ويلات الحرب فى الأربعينات
وصوره فى روايته وقدمته شادية فى فيلم .. وفى هذا العام إكتمل من عمر
القصة الرائعة ثلاثين عاما بالتتمام فكيف الزقاق الآن ؟؟

من بقى من أبطال القصة فيه ومن مات ؟..

هل كانت هناك حقاً حميدة وأمها ..؟؟ وعباس الحلو وعم كامل وزيد .. وكرشه .. وكل هؤلاء الذين خلقهم بقلمه الساحر نجيب محفوظ ..؟؟ من سكان الزقاق الآن .. هل تغيروا كثيراً عما كتبه الكاتب الكبير ..؟؟ وهل هم الذين كانوا حقيقة بالزقاق منذ سنوات ثلاثين ..؟؟

* * *

على يمين القادم من ميدان سيدنا الحسين .. وعن يسار القادم من شارع الصاغة خلفاً وراءه جامع الأشرف وقبل أن ينتهى شارع الصناديقية فى جزءه المسقوف الظليل يقع الزقاق ..

إنه الوحيد فى الشارع كله الذى تظلل مدخله تكعيبة عنب كبيرة متشعبة الفروع .. إستقبلتنى فى مدخله رائحة قوية نفاذة هى العطارة كلها مجمعة فى رائحة واحدة تلف الوافد على الزقاق ..

مدخل الزقاق مرصوف بالحجر الأسود اللامع الكبير .. وعلى اليسار فى مواجهة القهوة يقوم بيت عتيق .. يليه على نفس الجانب باب كبير مغلق أو أغلق لعدم الاستعمال وقيل أنه كان يشغله ترزى عربى فى زمن بعيد ..

ثم .. وكالة العطارة فى الزقاق لصاحبها الحاج عبدالرحمن زيد .. وراء الفرن تماماً تقع الخرابة التى كانت فى القصة مقراً لزينة صانع العاهات الذى كان يتخذ منها مأوى ومستشفى خاص يصنع فيها على هواه ما شاء من عاهات للشحاذين ..!!

على يسار « الخرابة » فى مواجهة الفرن بعض سلمات دكان صغير يشغله نقاش نحاس وفى أعلى الزقاق منزلان متجاوران كان المعلم كرشة فى الرواية يشغل أحدهما وفى الآخر كان يسكن السيد رضوان الحسينى الرجل التقى الذى ابتلاه الله بفقد الأولاد واحداً بعد الآخر فتعزى بالصبر الجميل ..

يسكن المنزلان الآن أم بدر صاحبة الثمانين عاماً من العمر والستين عاماً فى عشرة الزقاق وفى الآخر أم أحمد وأولادها الذين ورثوا الفرن عن أبيهم وجدتهم أم سالم التى تناظر حسنية الفرائنة فى قصة نجيب محفوظ ..!!



مدخل الزقاق تكية العنب والقهوة المعروفة لكل عاشق للرواية المشهورة

خيط رفيع بين الحقيقة والخيال ..

من حيث الوصف لم يتغير شيء في الزقاق عما وصفه في قصته الاستاذ نجيب محفوظ .. التكعيبية مازالت والقهوة أيضاً .. والفرن .. والبيوت .. لكن الناس .. الناس في الزقاق الحقيقي هم مطلبي الآن !!

إلى أسفل إذن ثانية .. إلى أول الزقاق بعد أن كنت قد صعدت إلى أعلى .. إلى نهايته .. والصبح مازال بعد في ساعاته الأولى .. والقهوة المفتوحة الأبواب معتمة بعض الشيء .. وبالدخل عم عبده يرص الكراسي والمناضد ثم يعيد ترتيبها مرة أخرى وهو يغنى مقاطع مختلفة من أغنيات قديمة بصوت مشروخ والمنزل المقابل القديم ليس فيه غير نافذة واحدة مفتوحة يتدلى منها لحاف أحمر اللون من الستان إمتلاءً بالبقع وبلى في مواضع عديدة من كثرة الاستعمال ..

● الدق المتواصل في الزقاق يطفى على ما عداه من أصوات .

عم عبده القهوجى في الحلقة السادسة من العمر مازال يرص الكراسي من جديد ويمسح الموائد وحده دون مساعدة صبي « كان للمعلم كرشة في الرواية صبي وحيد هو سنقر » ..

يتصعب عم عبد النبي يوسف « عم عبده » في أسى وهو يقول : بعد ٢٢ صبي في القهوة كانوا ييخدموا على الزقاق والصباغة والصناديقية والخان لغاية ميدان سيدنا الحسين بقيت لوحدى من غير صبي واحد في دى الزمان .. كله اتغير .. كله ..

فنجال القهوة اللى كان بنكلة سنة ٣٨ بقى بسعة صاغ .. شايقة دى .. « أشار إلى كنكة نحاسية كبيرة الحجم كالإبريق معلقة في ركن من الحائط بعيد » .. دى كانت تملأ ثلاثين فنجان « بيشه » صغير وكان الفنجان بليم .. ● كان كل صبي يخرج بيها مليانة ساعة الصبحية يسقى الدكاكين ويرجع بتلاتين مليم .. الدنيا كان رخا .. والعيشة حلوة .. والبال مرتاح ..

● أبويا ساب لى القهوة دى ومات عن ١٠٤ سنة وكان بيسقى في الشارع لآخر يوم في عمره !!

- استراح عم عبده تماما في مقعده وهو ينطلق في الحديث ..
- كان القهوجى يسموه « باشا مخفى » لأنه ييكسب مكسب من غير رأسمال .. لكن دلوقت .. منين المكسب بييجى .. منين .. التكوين كله أول عن آخر أربعين كيلو سكر في الشهر باشتري قدهم من خارج التكوين .. ١١
 - والبن اللى كان أول ما استلمت القهوة سنة ٣٨ بستة صاغ الرطل بقى بأربعة جنيه .. ١١ والسكر اللى كان بأربعة صاغ بقى بثلاثين .. ١١
 - صحيح الضرائب على القهوة مفيش لأنها قهوة صغيرة ومابتكسبش لكن وحياتك اللى جاي أقل من اللى رايح .. الزمن اتغير .. ومش ممكن يرجع من جديد ..
 - القهوة دى عمرها ١٥٠ سنة بالتام .. عمرها من عمر جدى أبو أبويا .. كانت كلها « عرايسكة » بس الزمن جاز عليها .. والزقاق ده في زمانه كان زينة الحتة من سيدنا الحسين لغاية الغورية والمغربلين ..
 - العطارة كلها كانت تندق هنا في الزقاق وتطلع منه على بر الشام .. وعلى كل البلاد .. وأبويا قال لى إن العبيد كان بتتباع فيه كان .. ١١
 - القرن اللى في الرواية موجود .. وصاحبته كان اسمها أم سالم .. بس تعيش انت .. والخراية برضه موجودة .. بس بقى القصة بتاعة الاستاذ نجيب محفوظ هيه اللى مش موجودة في الزقاق .. أنا بس اللى موجود .. أنا والقهوة ..

أمى .. عايزاك ..

- من النافذة المقابلة للقهوة أطلت فتاة سمراء بعيون واسعة نادت ..
 - خال .. يا خال .. إطلع أمى عايزاك ..
- في المنزل المقابل حيث كانت تسكن حميدة في القصة تقطن الآن عائلة عم سعيد الجزمجي ..
- يحتل عم سعيد حجرة يتخذ منها مصنعا صغيرا للأحذية .. وفي حجرتين هما بقية البيت تعيش زوجته .. وعزة .. آخر العنقود ..
- صعدت السلم المهدم مع عم عبده خال الست جميلة صاحبة البيت .
- وزوجة عم سعيد الجزمجي ..



عم ابراهيم صاحب القهوة في الزقاق أو المعلم كرشة في رواية نجيب محفوظ .

استقبلتنا الست جميلة بوجه مكفهر حاولت أن تبسط أساريره في مواجهة الضيوف وعلى شعرها كانت عزة تضع حناء حمراء لتدارى الشيب الذي تسلل إليه ..

واصلت عزة عملها في هدوء تضع الحناء على رأس أمها بدقة وأناة وهي ترحب بنا بينما انفعلت ست جميلة وهي تشرح لخالها كيف أنها لثالث مرة في هذا الشهر تذهب إلى الأوقاف لتقبض الـ ١٥٠ قرشا نصيبها في الوقف فلا تجد الموظف لأنه في أجازة ..

تطلب ست جميلة من خالها أن يشوف له صرفة مع موظف الأوقاف .. عزة مازالت تواصلت في صمت وضع الحناء على رأس أمها .. عزة عيونها مصرية .. ولونها لون الطمى الخصب الغنى وشعرها المجعد حالك السواد .

تتمنى عزة لو بنت الحكومة الخرابة الموجودة بجانب الفرن في الزقاق مساكن شعبية ليعود إليها كل من خرج من الزقاق ..

أسألها .. والبيوت القديمة يا عزة .. أين تذهب ..؟؟

نجيب في حماس .. تفضل زى ماهية في الزقاق ..!!

أجيب .. لكن الأرض قد لا تحمل دق الأساس فتتهدد البيوت القديمة في الزقاق .. !!

تمتلئ عيونها الضاحكة بهلع خفيف وتجب في تصميم .. يبقى بفضل زى ما احنا .. ويفضل الزقاق .. !!

عزة في بكالوريوس الخدمة الاجتماعية هذا العام .. وهى اخت صغرى لضابط .. ومهندس .. ومحاسب .. وموظفة .

ويأتى عم سعيد من الداخل .. هو صاحب عيا وعصبى للغاية لأنه وهو في هذه السن مضطر لأن يعمل بيديه ..

● قال .. كل الصبيان مشيوا .. الى هاجر .. والى فتح لوحده .. والى هرب من الصنعة كلها .. وفضلت أنا وحدى ..

● يا ريت أيام زمان تعود .. كان أحسن جوز جزمة بـ ٥٥ قرش من الجلد الأجلاسيه وكانوا يلبسوه الأكابر .. وكان الصبى يوميته ٣ صاغ دلوقت جوز الجزمة بخمسة جنيه والصبى يوميته جنيه ..

ست جميلة مازالت توصى عم عبده بأن يتصرف مع موظف الأوقاف ونحن نهبط السلم بحرص مخاذرين أن ينهار ..

الحلو كان هنا ..

اتجه مع عم عبده صعودا في الزقاق حتى الفرن الذى هو مخزن للعطارة الآن .. هو تماما كما وصفه نجيب محفوظ .. لكن أصوات الدق المتواصل تنبعث من داخله الآن وعلى بابيه ميزان كبير منصوب يحمل جولات العطارة ذات الرائحة النفاذة ..

الفرن الآن تسلمه الحاجة على أبوزيد .. اشتراه من أولاد أم سالم صاحبة الفرن عام ٥٧ بمبلغ ١٦١ جنيها وحوله إلى مخزن كبير للعطارة من كل الأصناف ..

ومن أجل ذلك فالدق لا ينقطع من زقاق المدق ..
لكن الحاج على ليس من أهل الزقاق وإنما جاء من أسوان .. واستأجر

هذا الخزن لبضاعته من أصناف العطاراة .. لذلك لا يعلم كثير عن الزقاق لكنه مع ذلك قال إنه سمع من يقول أن عباس الحلو كان يقينا يشغل المحل المجاور لوكالة في أول الزقاق والمغلق الآن ..؟؟

من الفن إلى النحاس

الزقاق يلتوى صاعدا بضع درجات أخرى تتوقف عند دكان صغير مغلق بصفة لا تزيد مساحته عن مترين وبداخله ثلاثة أشخاص .. رجل في حوالى الخمسين واثنين من الصبية وتحت أيديهم يبرق النحاس الأصفر بلونه الجميل وهم .. يواصلون النقش عليه ..

الرجل هو محمد اسماعيل الذى ترك العمل كمزيكاى بشارع محمد على وبدأ وهو فى هذه السن ينقش على النحاس ..

محمد اسماعيل هو ابن أخت أم سالم رحمها الله ..

عندما ضاقت به الدنيا فى عالم الفن جاء إلى الزقاق فاستأجر من خالته هذا الدكان بمجنيهين وبدأ ينقش على النحاس ..

قال إن الفن لا يمكن أن يغنى أو يشبع من جوع ..!! والدنيا غوله فلوس ..!!؟

سألته : هل يستطيع الفنان أن يستبدل بالفن النحاس وفى مثل هذا العمر ..؟؟

● غطت عينيه طبقة رقيقة من الدموع احتجزتها الرجولة والكبرياء وقال .. ممكن .. لما الدنيا تعوز .. واستأنف الدق على النحاس .. ثم رفع عينيه فجأة وقال ..

● على فكرة .. كان نفسى أحط الموسيقى التصويرية لفيلم زقاق المدق وأدخل فيها الصاجات والمباخر والدفوف .. ده ياما عباس الحلو خلق لى ونا عيل صغير .. وحيدة .. كانت أحلى من شادية ورب الكعبة ..!! .. أبوه كانوا هنا موجودين .. ده أنا شفتهم ياما بعينه دول ..!! واستأنف الدق على النحاس ..

زقاق المدق .. فى نيويورك

عن القصة والفيلم يعرف كل أهل الزقاق كل شىء وأيضا عن نجيب محفوظ ..

يحكى عم عبده صاحب القهوة أن « الأستاذ » كما يلقبه الجميع كثيرا ما كان يأتى فى الأربعينات ويجلس فى القهوة صامتا مرتديا نظارة غامقة اللون حتى خرجت القصة إلى الوجود .. لكنه يأسى لأن الأديب الكبير لم يعد يزور الزقاق « زى زمان » ..

زار الزقاق بعد نشر القصة كثيرون .. أدباء .. وفنانين وطلبة معهد السينما والمسرح .. وطلبة الفنون ..

جاء أحدهم يوما .. وفى ساعات الصباح الأولى إعتلى ظهر عربته وبمفك صغير خلع اللافتة التى تحمل إسم الزقاق من على الحائط ووضعها تحت ذراعه .. ومضى ..

يحكى أهل الزقاق بانفعال شديد أنه أخذها للذكرى وعلموا بعد ذلك من أصدقائه أنه سافر بعيدا إلى نيويورك ليعمل هناك ..

من خوفهم أن تصبح عادة .. خلعوا اللافتة الأخرى التى تحمل إسم زقاقهم من على الحائط المقابل وأخفوها فى خزانة عم سعيد الجزمى لئلا يستولى عليها معجب آخر بزقاقهم .. وهكذا أصبح الزقاق بلا لافتة تحمل إسمه .. حقيقة مؤكدة لاحظتها طيلة ساعات وجودى فى الزقاق وهى أنه بالرغم من ضيق الزقاق ووجود الخرابة بكل ما تحويه من قاذورات ومخلفات فلا أحد يريد أن يغادر الزقاق ..

أحسست أنهم يشعرون جميعا بأنهم يحملون علامة مميزة لا يريدون أن يفقدها .. فلقد كتب عنهم سيد أدباء العصر .. كما أن الظل هناك تحت التكمية الوارفة الظلال .. والسكون أيضا رغم صخب وضجيج شارع الصناديق الكبير .. والألفة والقربة والود والتراحم ييسط ظله على الجميع فالكل أقارب وأهل تجمعهم سنين العمر والنشأة الواحدة فلماذا يتفرون ..؟؟

وبالرغم من ذلك فبالزقاق طبقة .. 11

من عند التكعية وحتى القرن القديم فهذا هو الزقاق أما ما يلي ذلك
فيسمونه « الخرابة » رغم أن به دكان ومنزلين ..
بداية الزقاق بها المياه .. والنور .. والجزء الباقي يعتمد على حنفية عمومية
للمياه .. ويقترضون من مخزن العطاراة أى القرن القديم .. الكهرباء ..
الشيء المشترك بين الخرابة والزقاق هو عدم وجود مجارى على الاطلاق ..
لكنهم وبالرغم من ذلك راضون وباقون .. بل ولا يشكون من شيء خشية أن
تنقلهم الحكومة إلى خارج الزقاق بحجة التحسين ..

* * *

أين أحمد

أعاهد الصعود فى الزقاق إلى ما بعد الخرابة لأجد فى أحد البيتين أم
أحمد .. واثرة القرن القديم هى وأولادها عن ررجها سالم ..
أم أحمد كانت عائدة من زيارة ابنها الأكبر السجين فى سجن طنطا كما
انفلت بهذا لسان أحد الأطفال .. !! لكنها لم تشر إلى هذا لا من قريب ولا من
بعيد وإنما ذكرت أنه يعمل فى طنطا وأنه كسيب .. !!
تظاهرت بتصديقها وسألتها عن حمايتها صاحبة القرن ففتت بشدة أنها
كانت كما صورها نجيب محفوظ « شرانية » وتضرب زوجها ..
● قالت .. مالوش حق سى نجيب .. والنبي لو كان شافها وعاشرها كان حبها
أوى .. لكن معلى يمكن أكل عيشه هو الى حكم عليه يكتب كده .. !!
على مدى ثلاثة أيام حاولت أن أعرف بأى تهمة سجن أحمد بن أم
أحمد .. لكن الجميع اتفقوا على عدم البوح بأى شيء عنه ..
أجمع الكبار على أنه يعمل فى طنطا .. وأن زقاقهم لا يعرف الجريمة أو
الانحراف .. بينما لزم الصغار الصمت المطلق وبدوا وكأنهم قد تلقوا تنبيها
مشددا بعدم الكلام ..
أحسست أنهم من شدة حبهم للزقاق يريدون أن تبقى صورته لا تشوبها
شائبة فى عيون الآخرين .. !! وفيما بينهم فهم ستر وغطا على بعضهم وعلى
زقاقهم .. !!



ست جميلة من معالم الزقاق ..



عزه شباب زقاق المدق ..

- أوصل الصعود إلى أعلى حيث أم بدر أكبر من في الزقاق سنا فهي قد تجاوزت الثمانين ..
- جاءت من الصعيد مع زوجها المرحوم .. وكان راجل وكان كسيب ..
- من ستين سنة جينا الزقاق في نفس البيت .
- كان إيجاره في الشهر ٣٥ قرش .. وكان الخير كثير .. والعز كثير .. والأولاد كثير ..
- الراجل مات .. والعز راح .. والأولاد كل واحد ربنا يسهل له خدته واحدة ومشيت بيه وفضلت وحدي زى ما انتى شايقة في الزقاق ..
- أيوه شفت الفيلم كله .. !! حاكم كل ده حصل في الزقاق .. أيوه كل اللي في الفيلم كانوا هنا حبايب وجيران ..

● إليه .. بتقولى إليه .. حميدة كانت ساكنة فىن ..؟؟ .. حميدة مين ..؟؟ ..

انحدر الآن هابطة ثانية إلى مدخل الزقاق ..

أمر مرة أخرى على المقهى القديم ..

كانت الشمس قد مالت صاعدة فى السماء .. والقهوة لم يفد عليها أحد بعد .. وعم عبده على بابها على كرسى من القش .. يغفو فتميل رأسه على صدره .. وينتبه فيهب بالمنشة ذبابة وهمية عن وجهه .. قبل أن يطويه ثانية النوم ..

الأصوات هدأت كثيرا فى الزقاق .. والتكعيبية تهتز أوراقها من نسمة طرية ضلّت طريقها وسط هذا الجو الحار .. وأعلى الحائط فى مدخل الزقاق مربعان خاليان يشيران إلى مكافئ لاقتين ، إحداهما الآن فى نيويورك والأخرى تختفى فى خزانة عم سعيد الجزمى خوفا عليها من السرقة للذكرى والتاريخ ..

مع صاحب الزقاق نجيب محفوظ

تبقى بعد ذلك عن الزقاق كلمات .. فمن يقولها ..؟؟

يقولها صاحب زقاق المدق .. الذى أخرجه من جسم شارع الصناديق الكبير حيث يختفى إلى وجدان مصر كلها ..

يقولها من أهدى إلى المصريين زقاق المدق فى سطور لا يمكن أن تفنى حتى إن فنى الزقاق ..

كلمات يقولها أدينا الكبير الأستاذ نجيب محفوظ ..

● بدأت كتابة زقاق المدق فى عام ٤٤ وخرجت للناس عام ٤٧ وكنت أكتبها والحرب دائرة ..

● علاقتى بالمنطقة كلها علاقة قلبية .. روحية .. أنا مولود فى هذه المنطقة .. واتصلت خيوط صباى بهذه الأماكن .. بسيدنا الحسين وبالجمالية والزقاق والخان وقهوة الفيشاوى .. وكنت بعد أن تركت المنطقة إلى العباسية أعود .. وأعود مرارا يشدنى قلبى إلى كل المناطق التى طالما أحببتها ..



الوكالة في الرواية خيال ... ولي الزقاق واقع

● كنت من عشاق الزقاق .. شدنى إليه قلة الناس فيه وشكله الخاص ..
تكمية العنب .. والقهوة الوحيدة .. واسمه الغريب .. وعندما بدأت في
كتابة القصة أخذت منه الاسم فقط فلا صحة إطلاقا لوجود أية شخصية
من الزقاق في القصة ..

● لم يدخل أحد من سكان الزقاق في القصة على الإطلاق ..

● عندما ظهرت القصة إلى الوجود وقدمت على المسرح ثم في السينما وجد فيها
أهل الزقاق نقطة ارتكاز يتكلمون فيها ويقولون أن للشخصيات وجود
حقيقى فى زقاقهم وقرأت كل هذا منهم ولم يطاوعنى قلبى على تكذيبهم فأنا
أعتقد أن لهم حقا فى الرواية فلقد أعارونى إسم زقاقهم لكن الحقيقة أنه لم
يدخل أحد من الزقاق فى القصة ..

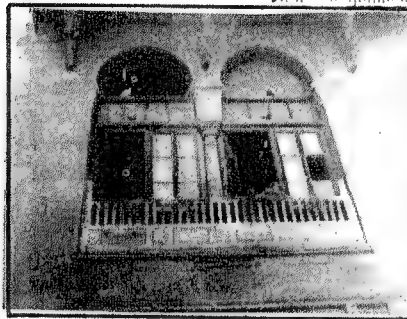
● لا أذكر من شخصيات الزقاق الواقعية غير صبى القهوة وكان صبيا ظريفا
كثيرا ما كان يؤانسنا عند جلوسنا فى مقهاه ..

● إننى واثق تماما أن ما من شخص يعيش فى الزقاق الآن سبق له أن رآنى ..

● انقطعت منذ مدة طويلة عن زيارة الزقاق بسبب موصلات القاهرة لكننى
أتمنى لو عدت لنفسى الأماكن وعلى فترات .. فأنا مشدود إلى هناك بحكم
النشأة والعشرة .. والحب ..

.....
.....
.....
.....
.....

حارة خوشقدم



هيئة الآثار احتلت بيت شهندر التجار ..
قطعة من أغلى آثار الممالك .. ضاعت وسط
مكاتب وملفات الموظفين ..
القصصجية انتهوا وبقي عم أحمد .. والحمامات
انقرضت وبقي حمام الجبيلي ..

على أرض هذه الحارة رأيت الزمان القديم يبعث حيا نابضا يضحج بالحركة
والحياة ..

في هذه الحارة الضيقة يكاد المرء وهو يسير على أرضها المبلطة بالحجر
الأسود اللامع وتحت مشربياتها الخشبية المعلقة في البيوت أن يسمع صليل
السيوف وصهيل الخيول .. وخطوات تسترق الخطى في الظلام يعلن ديبها
الخافت عن مؤامرة تدبرها طائفة من الممالك لطائفة أخرى أيضا من
الممالك .. في هذه الحارة الضيقة تعود مصر القديمة إلى الحياة بماليكها ..
وجواريها وسلاطينها .. ونساءها المحجبات ..

* * *

في هذه الحارة تبعث في أواخر القرن العشرين قطعة من قاهرة المعز ..
والمستنصر .. والسلطان الغورى وطومان باى .. بنفس بيوتها .. وعطفاها ..
ومتحنياتها بل وبعض حرفها أيضا التي لم تزل في الحارة منذ مئات السنين ..
بل ويبقى الاسم أيضا «خوشقدم» كما هو منذ خمسمائة عام .. تتوارثه الحارة
الطويلة الضيقة المتفرعة من شارع الغورية العتيد بالقرب من وكالة الغورى
وعلى بعد أمتار من باب زويلة العظيم ..

كأنها تختفى بكنوزها من الزمن .. ومن الناس هذه الحارة .. حارة
خوشقدم .. فمدخلها يرتفع عن مستوى الشارع بضعة أمتار ثم ينحني بشدة
لتختفى الحارة تماما بعد ذلك وراء صف كامل من البيوت تطل على شارع
المعز لدين الله «الغورية» فلا يبين لها أثر من الشارع ولا يستدل عليها إلا من
يعرفها من قبل ويعرف أن هاهنا حارة خوشقدم ..

تظلم إظلاما شديدا في معظم أجزائها وتضىء بضوء خافت للغاية في أجزائها الأخرى عدا المدخل لأن به قهوة زاعقة الأضواء .. وفي كل بضعة أمتار يصادف السائر عمودا قديما يحمل مصباح غاز الاستصباح القديم مطفاً طبعاً فقد عفى عليه الزمان وراح من كان يمر بمشعله ليضيئه .. وانقرض .. وحل محله مرفق الكهرباء الهمام .. وياليتها بقى ..

● حارة مميزة ولاشك .. فماذا تحوى حارة خوشقدم ..؟

سلطان بالصدف

من هو خوشقدم الذى ظلت الحارة تحمل اسمه مايزيد عن خمسمائة عام ..؟

يقول المقريزى فى خططه عن تاريخ القاهرة أن خوشقدم هذا هو السلطان أبوسعيد بى الدين خوشقدم الناصرى أحد سلاطين دولة المماليك الجراكسة .. تولى عرش مصر عام ٨٦٥هـ وتوفى فى عام ٨٧٥ . وكانت الحارة التى سميت باسمه هى مقر إقامته وهو بعد أمير قبل أن يصبح سلطانا ..

اللعب بالذهب والفضة

إذا تغاضينا عن القهوة الحديثة المملعة بالأضواء التى تحتل مدخل الحارة فكل ما فى الحارة قديم عتيق .

● بعد القهوة مباشرة تبدأ حارة خوشقدم الحقيقية فى الظهور .. ضيقة .. خافتة الضوء ..

● فى بدايتها دكان أثرى قديم لا اسم له .. أمام بابه نول يدوى يشد عليه شيخ عجوز قطعة من القماش عليها خيوط ذهبية تخطف الأبصار .. وتحت مصباح الشارع ونور الدكان ينحنى عم أحمد القصبجى ليخرج من بين أصابعه فنا جميلا للناس ..

● منذ خمسين سنة وعم أحمد القصبجى يعمل فى هذا الدكان .. يطرز بخيوط الذهب والفضة على القماش آيات القرآن الكريم وزخارف عربية وستائر مطرزة باليد .. وكان من قبل يشارك فى تطريز الكسوة الشريفة للكعبة ..

- لم أكد أصدق عيني وأنا أرى كل هذا الجمال والدقة والبراعة في الرسم والتطريز .. كانت الخيوط الذهبية تلمع كالفرحة في عز أوانها ونظرت بتقدير عظيم إلى الرجل العجوز الذى أحنى الزمن والعمل المتواصل ظهره وهو يواصل عمله في سكون ..
- أشفقت أن أسأله فلقد تكلم وقدم نفسه التطريز البديع خير تقديم ولكنى مع ذلك سألت وأجاب ..
- قال عم أحمد القصبجى الذى يبلغ من العمر ٦٦ عاما ..
- الضروريات النهارده غطت على الكماليات .. مين دلوقت يفكر يكلف مفرش السرير بالقصب شغل اليد ٥٠٠ جنيه .. ؟
- مافيش حد .. مع إن زمان كان جهاز العروسة مايكملش إلا بالمفرش القصب ..
- من ٤٠ سنة كان كيلو القصب الخيط من ألمانيا وفرنسا والهند باتنين جنيه دلوقت الكيلو حصل ٤٠٠ جنيه ..
- أنا مش زعلان من حاجة .. الرزق ده بتاع ربنا هو الذى يبقسمه لكن زعلان ع الفن الجميل الذى حايوت معانا لما نموت إحنا ويندفن فى القبور ..
- نفسى الدولة تمد إيدها للأسطوانات الكبار عشان يعلموا الصغيرين .. عشان مصر تفضل أم الدنيا على طول ..
- الإيد الفنانة الى بتشتغل خلاص مافيش .. والقصبجية انتهوا وحايقوا بعد كام سنة ذكرى وتاريخ .. !

بائع دوائر المعارف

- قبل نهاية حديثى مع عم أحمد القصبجى كان قد أقبل شاب كل مافيه حديث .. بذلته الجينز الغالية .. تسريحة شعره .. إيقاع كلامه السريع ..
- تقدم فصافح عم أحمد وقبله باشتياق ثم جلس صامتا على كرسى صغير أمام الدكان .. وعندما انتهى عم أحمد من الكلام قدمه لى قائلا .. الأستاذ ممدوح الى بيستلم الشغل ويصدره لبلاد برة .. !!

- وتكلم ممدوح شبل فقال .. لا يعرف هذا الرجل عم أحمد قدر نفسه تماما .. ونحن أيضا المصريين لا نقدر أمثال عم أحمد حق قدره ..
- عم أحمد وأمثاله من القصبجية ثروة قومية يجب أن نحافظ عليها لوضاعت وانتهت لن نتمكن من تعويضهم أبدا ..
- واستطرد ممدوح الذى كان يبدو متحمسا ومنفعلا جدا .. أصاب بالفزع الشديد كلما تذكرت أن القاهرة بأسرها لم يعد فيها غير ٩ فقط من القصبجية على قيد الحياة ..
- الدولة بيدها إنقاذ الموقف بإنشاء مدرسة أو مركز تدريب قبل أن ينتهى هذا الجيل .. وينتهى من مصر فن التقصيب .. أنا أنا فمئذ عثرت عليه وأنا لأمل المجيء إلى هنا والجلوس أمامه لأرقب أصابعه الفنانة وهى تصنع الجمال .. وذلك خلال فترة تواجدى فى مصر .. فإننا لأقيم حاليا فى مصر .. وإنما أتنقل بين البلاد .. زرت حتى الآن ٣٥ دولة أبيع فيها الكتب ..
- تنبهت أذانى جيدا .. كيف ..؟؟ وأى نوع من الكتب ..؟؟
- استطرد ممدوح الذى صرح لى فى بداية حديثه بأنه راسب ثانوية عامة منذ سنوات ..
- هى مهنة غير معروفة فى مصر فأنا أبيع بالتحديد دوائر المعارف فقط فى طبعة شعبية لا تتكلف كثيرا .. أغلى دائرة معارف تتكلف ٢٥٠ دولارا وأتجول فى الدول لأبيع هذه الكتب .. هناك دول ضرورة فى كل بيت أن توجد دائرة معارف على أى مستوى من المستويات بالإضافة طبعا إلى المتخصصين الذين يطلبون دوائر معارف فى فرع معين من فروع المعرفة ..
- هنا فى مصر لا يعرف هذا النوع من النشاط لذلك فكل حركتى خارج البلاد .. لكننى مرتبط ببلدى أشد الارتباط لا تمر شهور إلا وأنا هنا فى إحدى جولاتى حملت معى ثلاث قطع مذهبة من صنع عم أحمد إلى أمريكا .. فوجئت من الأمريكان لأقول بالإنهار ولكن بالذهول للروعة والجمال .. وبعث القطعة الواحدة بخمسمائة دولار بينما عم أحمد هنا يصنعها بثلاثين جنيتها .. حقيقة لا يعرف هذا الرجل قيمة ما تخرجه يده ..



بيت شهيد التجار .. وأهل زمان

● المهم عقدت معه اتفاقا أن 'يمدنى ببعض إنتاجه كلما حضرت لأبيعتها في أمريكا حيث جعلنى فن عم أحمد أكتشف لأول مرة أن الآلة ليست سيدة كل موقف فما زال لليد البشرية قدرة الإبهار ..

يا ليل الصب متى غده ..

تركت ورائى عم أحمد يستأنف العمل على النول .. وتركت قدماى تقودانى أيضا فى الحارة الضيقة .. فكل ما فيها رغم قدمه بالنسبة لى جديد ..
● هذا الجو الموحى .. وهذه الأبواب من الخشب المعشق الجميل .. وهذه المشربيات المنمنمة التى تطل منها العيون .. كنت أرفع رأسى تلقائيا إليها متوقعة فى لحظة يغيب فيها عنى الزمان أن ألمح من وراء هذه المشربيات عصاية رأس مطرزة ينسدل من تحتها شعر حالك كالليل الطويل .. أو أن تطل عيون ساحرة تستكشف الطريق .. لكن المشربيات كانت جامدة تلقى فى الضوء الخافت بظل عميق السواد على أرض الحارة المبلطة بالبازلت ..
● لكن .. مهلا .. على عتبة أحد البيوت كانت هناك مجموعة من الناس يجلسون على درجات سلم قديم يتوسطهم كهل أسمر اللون .. نحيل .. يغنى بصوت شجى عميق القرار ..

● واقتربت لأسمع موشحا أندلسيا جميلا فى نهايته ثم شعرا جميلا يقول ..

كل السيوف قواطع إن جردت
وحسام لحظك قاطع فى غمده
إن شئت تقتلنى فأنت محجب
من ذا ينازع سيده فى عبده

● كان الطرب أصيلا .. شجيا ... صوت كالذهب الحقيقى الذى انصهر فسال نهرا يترقرق الصفاء ..

● سألت من يغنى ..؟؟ فتكلم المغنى الكهل النحيل عبد الرحمن إدريس .. المهنة خطاط .. والعشق للطرب والغناء ..

● يقترب عم عبد الرحمن من السبعين وصوته فى حلاوة السنين الخالية وليست المشوبة بالأحزان ..

- لكن سنوات عبد الرحمن إدريس لم تخل مع ذلك من الشجن والأحزان .. لم تعطه الدنيا اللعوب أبدا ما يريد ..
- من الغورية في زمن الشباب خرج عم عبد الرحمن يريد أشياء وأشياء... يريد أن يغنى للعالم وللناس وكان وقتها يعيش قصة حبه التي توجهها بالزواج ..
- كان عبد الرحمن إدريس منتشيا بكل شيء في حياته بالحب .. وبالشباب .. وبالنجاح فهو خطاط فنان والخط الجميل موهبة من عند الله .. وصوته الجميل العذب تصور أنه سيفتح له أبواب الدنيا اللعوب ..
- وتبناه في زمانه مشاهير الملحنين فلحن له أحمد عبد القادر ومرسى الحريري .. وسمعه كبار المطربين وكانت له أغنيات خاصة به ..
- وجاءت الليلة التي عاش عبد الرحمن إدريس يحلم بها عندما أستأجر مسرح أوبرا ملك بشارع عماد الدين ليقدم عليه حفله الأول بعد أن كان قد غنى من قبل في الإذاعات الأهلية .. وبيعت التذاكر عن آخرها وآن للحلم أن يكتمل فينادى من فوق المسرح على الدنيا والنجاح بصوته الجميل ..
- لكن .. حتى الفن الجميل له أيضا وجه آخر قبيح .. !!
- قبل رفع الستار بساعتين كانت الفرقة التي تدرب معها شهورا طويلة لتصاحبه في ليلة الحلم هذه قد اشترى ذم أفرادها جميعا مطرب كبير بالنفوذ فانسحبت جميعها وتركته وحده يواجه الموقف بلا معين ..
- إنطلق عبد الرحمن إدريس ليلتها في شارع عمادالدين يقتضى آلاى من هنا وآخر من هناك حتى جمع شبه فرقة موسيقية كانت تعزف اللحن وراءه لأول مرة دون تدريب وكانت النتيجة طبعاً السقوط الشنيع .. ليلتها كان يغنى لأول مرة أغنيته الخاصة التي لحنها له الشيخ درويش الحريري شيخ ملحنى عصره ..
- لم يحاول عبد الرحمن إدريس بعد ذلك أن يصالح الفن أو أن ينادى دنيا النجاح .. أغمض عينيه عنهما تماماً وانغمس في الخط يأكل منه لقمته ويرى الأولاد .. وانقلب إلى مطرب عائل فقط يغنى في أفراح أسرته والأصدقاء ويشجى أصدقاءه في الحارة التي ترى فيها بصوته العذب كل مساء ..

● عندما كنت أبتعد عن الحشد الذى يحيط به وهو يغنى اكتشفت أن معظم من يحيطون به ويستمعون له بإنصات عميق هم من الشباب الصغير .. وكان صوته العذب يسرى مع نسمات الليل العذبة فى حارة خوشقدم الضيقة وهو يشدو من جديد ..

باليل الصب متى غـده
أقيام الساعة موعـده
وقف السـمار وأرقهـم
أسف للين يـردده

● وما أكثر الحكايات فى حارة عصر الممالك هذه فى ليلة من ليالى عام ١٩٧٩ ميلادية فى القاهرة المعز الساهرة ..
الحمام قسا عليه الزمان ..

خطوات أخرى واستوقفنى بناء كبير كان بابه المنفرج قليلا يعلن عن هويته .. هو حمام عمومى .. منسق البناء .. متعدد الحجرات .. ما اسمه يأتري .. ومن بناه ؟؟ ومن يملكه .. ومن يديره الآن ؟؟

● تطوع أكثر من واحد ليستحضر صاحبه عم حسنين الذى أتى من بيته القريب وجلس يحكى حكايته وفى صوته وفى عينيه الانكسار .. قال :

● الحمام الجميل ده من أيام ابويا .. وجدى .. وجد جدى .. وجدودى كلهم .. من أيام الملك الظافر الى العطفة القرية دى متسمية باسمه .. كان نواره الحارة .. وعامل لها حس وقيمة .. لكن الله يلعن الزمن الى مايسبش حد فى حاله .. !!

● لامش الزمن .. الزمن مظلوم .. الله يلعن الطمع الى ييفرق حتى الإخوات .. !!

● الحمام ده اسمه حمام « الجبلى » قال عليه المقريزى فى خططه فى تاريخ القاهرة وحواريها بنفس اسمه من يوم ربنا مانشأه .. كان لما الصبح يطلع يتولع فيه ١٦ أذان تفضل تغلى طول النهار وتملا ٣ أحواض والداخل والخارج ماينقطع عنه .. والستات مياعاها من الساعة ٢ لخمسة بعد الظهر .. وكان

فيه المكيسين المدلكين والحلاقين .. يدخل الراجل من دول يخرج منه
ولا العريس فى ليلة جلوته .. وتدخل الست تخرج وردة مفتحة على
غصنها .. وده كله بعشرة صاغ .. حمام .. وحمام بخار .. وتكيس ..
وتدليك .. حمام العافية بصحيح .. وفضلت الدنيا على دى الحال لما قام أبويا
مات ..

● اختنق صوت عم حسنين وهو يحكى كيف اتفق لإخوته فوراً على إغلاق
الحمام وبيعه بالتر لينفقوا النقود على الكيف والمزاج .. ثم غلبه التأثر وهو
يحكى كيف يريد لإخوته أن يخرجوه الآن وهو يقترب من السبعين من بيته
التابع للحمام ليهدموه ..

● يرفض عم حسنين الخروج إلا بعد أن يجدوا له مكاناً آخر أو يعطوه خلوا
يدفعه فى السكن الجديد .. لكنهم ساعهم الله يهدونه بإخراجه بالقوة
وهدم البيت ..

بيت شهيندر التجار ..

أمضى فى الحارة وبرفقتى عم حسنين الحامى صاحب حمام الجبيل ..
ومع كل خطوة يفوح فى الحارة عبق الماضى الجميل .. وتنتشر رائحة بخور
لا أدرى من أين تأتى .. رائحة لطيفة تخدر الأعصاب ..

● أتوقف أمام قطعة مجسمة من الماضى السحيق تطل من المشربيات العديدة
التي تزين واجهة منزل جميل عظيم البناء .. الباب ضخم من الخشب الثمين
المطعم بالنحاس وله يد نحاسية ضخمة يدق بها من يريد أن يلج الدار ..
● رنت اليد النحاسية على الباب رنيناً جميلاً يكاد أن ينطق ويقول .. أهلاً ..

وسهلاً بالزائرين .. وانفرج الباب عن صبي صغير جميل كأنه مملوك
جر كسى بشعره الأسود الناعم وعيونه الواسعة السوداء جرى مسرعاً لينادى
أباه ..

● وجاء محمد عبد الحميد نوير حارس بيت جمال الدين الذهبى شهيندر تجار
مصر عام ١٦٣٧ ميلادية وأغلق الباب الخشبى الكبير .. واقتادنا إلى
الداخل وأصبحنا الآن تماماً فى عصر سلاطين المماليك الجراكسة .. وانتقلنا

بالذات إلى عصر السلطان الظاهر بـرقوق الذى بنى البيت فى عهده ولا شىء
يربطنا بتاتا بخارج البيت .. حتى ضجة الحارة غابت عنا وراء جدران البيت
السميكة .. وكل ماحولنا مشربيات .. وقاعات مزينة بالصدف وبالزجاج
المعشق الملون وبأبيات الشعر وآيات القرآن بالخط الكوفى الجميل ..

● وفى الحديقة كانت الفسقية من المرمر الجميل تلمع رغم مضى مئات السنين
على إنشاءها .. والدنيا .. سكون جميل .. ١١

● وبدأت الأبواب تنفتح عن القاعات الواحدة بعد الأخرى لتلى وتمتع العين
بآثار عز قديم مضى ..

● يا للجمال .. والروعة .. كل حائط بما عليه كنز لا يقدر بثمن .. وكل
خطوة كانت تنقلنا من روعة إلى روعة ..

● الجدران كلها من المرمر وبطول قامة الرجل كانت تنتظمها الحكم البليغة ..
وآيات القرآن .. والشعر الجميل مكتوبة بالخط الكوفى فى نظام جميل ..

● أما قاعة المقابلة الكبرى فمتعة للعين حقا بما تحويه من فنون اللعب بالخشب
فى الأبواب والمشربيات وحلية السقف والجدران وفى نهايتها على اليمين قاعة
الحمام يقفل عليها باب من الخشب المشغول بعزل الحمام تماما عن بقية
البيت ..

● وفى الناحية الأخرى سلم للخدم يهبط إلى أسفل إلى حيث المطابخ وبئر الماء
وطاحونة الدقيق ويصعد إلى أعلى حيث قاعات الطعام ..

● وهذا هو باب الحریم .. فى اختفاءه وسط الحائط بفن دقيق حتى لا يكاد
يبين كل الغموض الساحر للدرر المكنونة وربات الحذور اللاتي كن فى ذاك
الزمان ..

● ثم نأتى لأبواب الغرف المطعمة بالنحاس والنقوش .. تنفتح الأبواب
على على مفاجأة قاسية على مكاتب حديثة متهاكة من
الصاج .. ١١

● مكاتب .. مكاتب كثيرة من الصاج الرمادى القبيح الذى لا يمت للمكان
بصلة .. عشرون .. ٢٢ ثلاثون .. ١١ وبجانهم المقاعد .. ودواليب صاج
لزوم المكاتب .. ١١

ما هذا ..؟؟

- رد حارس البيت .. الموظفين ..!!
- الموظفين ..!! .. أى موظفين ..؟؟
- موظفو مركز تسجيل الآثار الذين ضاقت عليهم الدنيا فلم يجدوا غير هذا الأثر الجميل مكانا لمكاتبتهم ..
- الحجرات أصبحت لا تمت للمكان بصلة ..
- بدلا من قناديل الزيت مدت أسلاك الكهرباء ونزع الحجر الأبيض الجميل وصنع من الأسمنت جدران لتحمل الكهرباء .. نزعت النوافذ والمشربيات وتحولت إلى شبابيك .. وهبطت الأرض في كثير من المواقع .. وضاعت معالم الأثر الجميل في هذه الحجرات تحت وطء أقدام أبناء عام ١٩٧٩ ..
- كأنها صفقة قاسية تلك التى أعادتني إلى الواقع الأليم ..!!
- ألم تجد هيئة الآثار لموظفيها غير هذا المكان ..؟؟
- هل ستستطيع تعويضه أن ضاع ..؟؟
- كيف نعرض نحن وبأيدينا أثمن ما نمتلك من ماضينا للدمار ..؟ كيف طاعه قلبه هذا الموظف الذى ملأ الجدران بإعلانات منزوعة من الجرائد ونتائج ودقها فيها بالمسامير ..؟؟
- بيت جمال الدين الذهبى شهيندر.تجار مصر أصبح الآن مقرا لموظفى إدارة . تسجيل الآثار ..
- فى صبح كل يوم يملأون المكان .. يمارسون فيه الأعمال المكتبية والإدارية وينصرفون آخر النهار ..
- من أجل هؤلاء الموظفين ردم البئر الذى كان يمد البيت بالماء .. وهدمت الطاحونة الأثرية التى لم يقو الزمن على هدمها طيلة هذه السنين ..!! وهدم الفرن أيضا خوفا من أن يعجب به السياح ..!!
- سبحانهك يارب .. أعطيتنا العقل ليستعمله وتميز به الأشياء .. لكن يبدو أنه فى أحيان كثيرة يغيب ..!!



عم بيومي حلاق خوشقدم من ٦٦ سنة

«ملحوظة» .. لم يطاوعنى قلبى على العودة فى الصباح لأشهد المكان وقد امتلأ بالموظفين .. إكتفيت بالقصة التى سببتها لى رؤية المكاتب العجماء !! ..

وداعا حارة قدم السعد ..

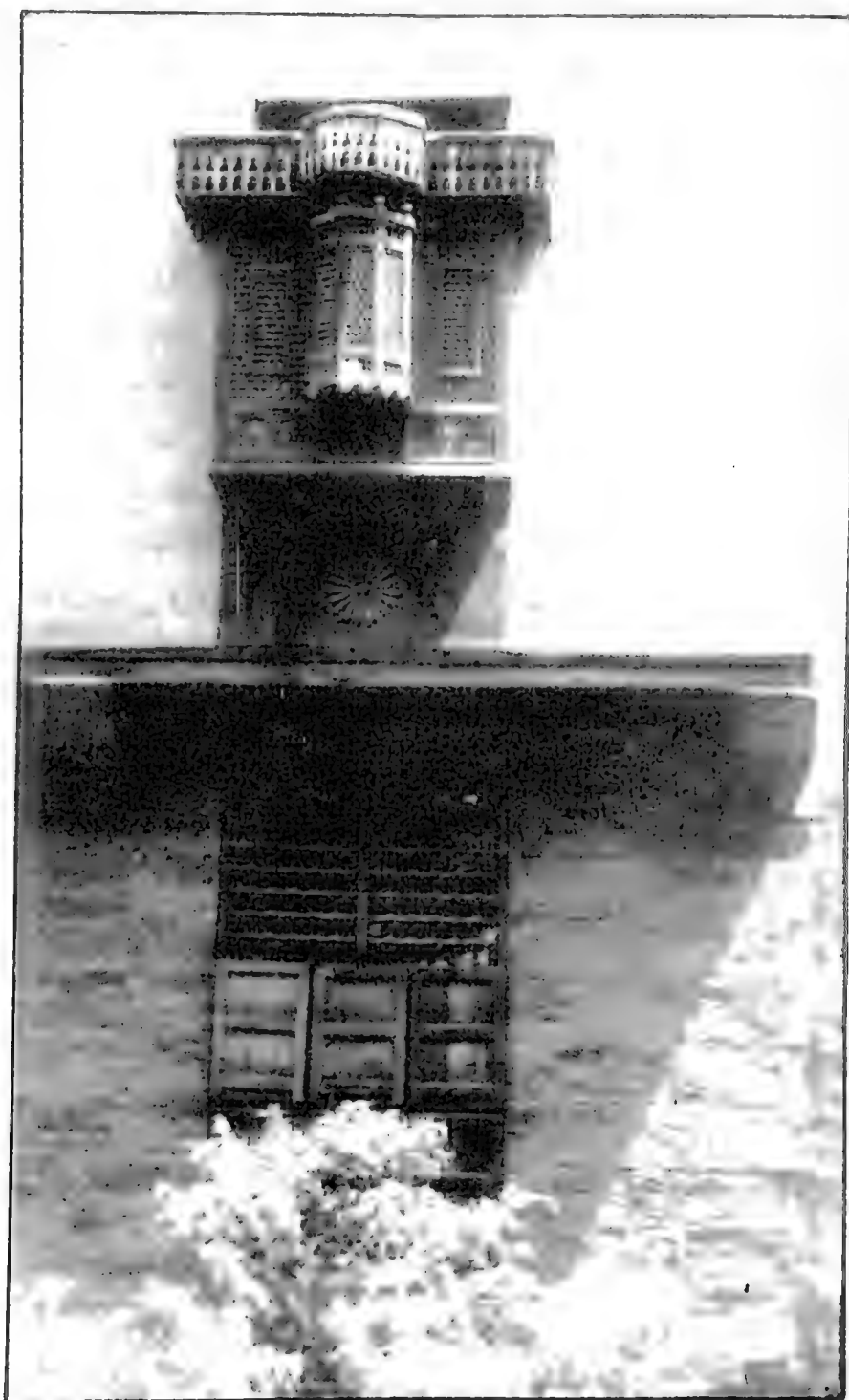
أخذت طريقى إلى خارج الحارة مكتفية بما رأيت .. وقبل أن أصل إلى البداية التى جئت منها توقفت عند حلاق عجوز قالوا لى إنه أقدم من فى حارة خوشقدم .. وأكبر من فيها سنا ..

● عم محمد بيومي حلاق الحارة منذ ٦٦ عاما .. لم تنل منه السنين كثيرا .. فرغم لحيته البيضاء .. وشعره الخليل فما زالت النكتة على لسانه وحديثه شيق غريب قال ..

● خوشقدم دى معناها بالتركى «قدم السعد» والناس عشان تخفف الاسم على لسانها تقول دى حارة «حوش آدم» ..

● من ٦٠ سنة لما جيت الحارة دى كانت حارة سد ..

● الدنيا والله اتغيرت لأحسن بس الناس مش فاهمة حاجة ..



بيت جمال الدين الذهبي . وجمال لم يدثر

- احنا صحيح أكلنا رخيص ولبسنا جرير .. وامتعتنا كثير لكن الناس من ٦٠ سنة ماكانتش كثير بالشكل ده .. أنا كلت اللحمة بقرشين والحلاقة عندي كانت بتلاتة تعريفة .. وشلن للكبارات الى أفرش لهم الفوطه النضيفة .. دلوقت الحلاقة بربع جنيه ونص جنيه ..
- الحارة هنا اتغيرت من حيث الناس .. كان زمان فيها العلماء الى علمونا الأدب والأخلاق .. والذوق وكنا نعتبرهم كآباء لنا .. كان في الحارة الشيخ العدل .. والشيخ محمد عز .. والحاج محمد الحمامي .. وخرج منها شريف باشا العبد محافظ أسكندرية ..
- الناس بتقول على بيت الذهبي كان ساكن فيه نابليون .. لا .. ده مش صحيح نابليون سكن في بيت الألفى في الأزبكية لما نزل مصر « هذا صحيح في كتاب التاريخ » ..
- بيعجبني في التلفزيون ربيع العمر وكل المواضيع والتمثيليات .. ده كده عال أوى .. حد كان يصدق إن التشخيص يجي لحد البيت ..؟؟
- أمر عائدة إلى أول الحارة .. إلى خارج حارة خوشقدم وقد بانت مأذنة الحسين وقباب الأزهر الشريف ..
- من أمام القهوة الحديثة التي لا تمت للحارة بصلة أنخدر إلى شارع الغورية وصوت أم كلثوم يلعلع في جنبات الحارة الضيقة ..

أهل الهوى يالـ
فاتوا مضـ
واتجمعوا يالـ
صحبة ونامهم

.....
.....
.....
.....
.....

حارة التريعة



شارع خاص جدا ١١
هنا يباع الخذاء بـ ٣ جنيهات والعطارون
يطالبون بتحويلهم إلى دكاتره .. ١١

بمجرد أن خطوت أولى خطواتي في شارع التريعة بجى الأزهر شممت على الفور رائحة الزمان القديم .. وهل غير الزمان القديم كان يحتوى على مثل هذا الشارع الهادىء الوديع .. المظلل بسقف يعلوه .. فيجعل الضوء بداخله خافتا .. شاعريا ..؟؟

من فرط هدوء هذا الشارع تحسبه جزءا منفصلا بعيدا كل البعد عن شارع الأزهر الصاخب المزدهم على الدوام .. وهو ينقلك بجوه وروائح العطاراة التى تحملها ذرات هواءه عميقة نفاذة إلى قاهرة أخرى بعيدة لم ندرکها نحن أبناء هذا الجيل ..

● قاهرة العربات بالخيول .. واليشمك .. وزفة المحمل الشريف .. والمشربيات .. والقصور .. قاهرة قرن وأكثر من الزمان الذى مضى ولن يعود ..

● الشارع ضيق جدا بحيث لا يستطيع إثنان أن يمشيا فيه متجاورين .. وهو لهذا يعطيك إحساسا بالخصوصية وبأنك تمشى فى شارعك الخاص .. ومنذ أول خطوة لك فيه تبدأ فى تلقى التحيات عن يمين ويسار فى مودة وترحيب أصحاب البيت الذين أقبل عليهم ضيف عزيز .

وللدكاكين الصغيرة المتلاحقة فى شارع التريعة شكل خاص فمعظمها يرتفع عن الأرض بمقدار متر تقريبا .. وفى الداخل على بساط أو كليم أكل عليه الدهر وشرب يتربع صاحب الدكان وبجواره عدة القهوة والشاى بينما الحديث يدور بينه وبين جيرانه طيلة النهار .

دكاكين العطاراة هى الغالبة فى شارع التريعة ومن أجل ذلك تفوح فى جنباته رائحة قوية هى خليط من كل الأصناف ثم .. الى جانب العطاراة هناك

بائعى السجاجيد والأكلمة والشيلان الصوف ثم الفئة الثالثة فى الشارع هى بائعة الأقمشة الحريرية والنايلون بالجملة .. الزاهية بل الزاعقة الألوان .

والتربيعة هى الاسم الذى يطلق على الجزء الأول من الشارع .. أما بقيته فيمتد تحت اسم شارع الفحامين فهو شارع واحد طويل أوله اسم التربيعة وباقيه يمتد تحت اسم الفحامين ..

هذا هو وصف شارع التربيعة والفحامين فى أيامنا هذه عام ٨٠ وهذا كان وصفه أيضا زمان .. فمنذ حوالى المائة عام عندما كتب على باشا مبارك خططه التوفيقية قال عن الشوارع :

« هو من أبهج الشوارع وأصقعها إلا أنه ضيق جدا لا يستطيع المار به أن يجوز راكبا دابته إلا بمشقة ويسكنه كثير من الماوردية الذين يبيعون الأعطار ونحوها .. وكثير من تجار الحرير الذين يبيعون الشاهى والكريشة والحرير ونحو ذلك وبعض المغاربة الذين يبيعون الطرايش والبطانيات والأحزمة ونحو ذلك » .

الحرجل .. وعرق الذهب .. وعين العفريت ..

لا يملك الإنسان إلا أن يستعمل الصوت الخفيض عندما يدخل شارع التربيعة ويتبين مدى هدوءه وانخفاض الصوت فيه .

● فى أول محل على يمين الشارع كان يجلس كهل مسن على مصطبة تعلو عن الشارع مفروشة كما ذكرت بالأكلمة وأمامه ميزان وحوله أكوام من شلل صوف التريكو المتعدد الألوان ..

الحاج عطية الوجيه فى التربيعة منذ ما يقرب من الخمسين عاما ومن قبله كان والده فى نفس المكان ..

● قال لى إن المكان بنفس دكاكينه وأشخاصه كما هو منذ دخله من خمسين عاما ليس فيه شخص مستجد فالدكان يظل فى الأسرة الواحدة أجيالا عديدة يتوارثونه فلا يخرج منهم إلا نادرا ..

● يبيع الحاج عطية فى دكانه الصغيرة هذه خيوط الصوف والقطن والحرير بسعر الجملة .

● من محله هذا فى صرة مصر التجارية كما يقول رنى الحاج عطية سبعة من البنات ولدين احدهما نقيب فى الجيش .

● جاء الحاج عطية .. وفى محل على نفس نمط محله أيضا أى يرتفع عن الأرض قليلا شيخ بشوش الوجه .. محله يلمع كل ركن فيه الحرير فى عقود طويلة من كرات صغيرة ملفوفة بالحرير ألوان .. وشرائط طويلة مجدولة من الحرير وهو يلف هذه الشرائط والعقود كل لون على حدة ..

دكان عم محمد السيد وادى هذا اسمه دكان عقاد أى يعقد الخيوط ويجدلها ليصنع « قطان » الجلابيب البلدى والصدىرى والقفطان ويصنع أيضا زرارير الجلابيب الصغيرة باليد ومن الحرير ..

قال العقادة عندى عقادة بلدى .. يعنى بس للجلابيب والقفاطين .. لأن فيه عقادة افرنجى خاصة بالسراير وكلف الفساتين والتنجيد .. دى مالناش دعوة بيها .. طول عمرى دى شغلتنى فى نفس المكان .. كل الشغل من الحرير . حرير طبيعى بيبجى من الصين وحرير صناعى من كفر الدوار ..

قطان الجلاية البلدى ده أبيعه بالجرام بستة مليم والزر بالعقد بأربعين قرش ملفوف على كتان ..

أحلام عم محمد وادى لا تتجاوز أولاده .. يحلم باليوم الذى يرى فيه طارق آخر الأولاد متوظف ومتجوز ساعتها .. سيرتاح من لف الحرير .. !!

* * *

الصوت الوحيد الذى كان يهدير فى الشارع مع ذلك أيضا فى هدوء نسبي كان صوت طاحونة العطاراة التى كان صاحبها الآن غير موجود تاركا إياها تعمل فى نشاط ..

والى دكان العطار المواجه لها تماما دخلت ليشرح لى عم حسن ثابت بعض ما رأته عينائى فى دكان عطارته ..

● قال .. دى كناسة العطاراة يعنى بقايا العطاراة ينضاف لها شوية حاجات كدة وتبقى بخور عال العال تباع بخمسه صاغ الوقية .. وده « شيخ خراصان » يتغلى ويتشرب يعالج المعدة تماما .. وده « بذر برسيم » يترش فى

البيت يجلب الحظ ويمنع العكوس .. وده «حرجل» يتشرب للكللى .. وده
«كمون كرامانى» مش للطبيخ .. لأ لعلاج النقرس وروماتيزم المفاصل ..
وده «عرق دهب» يتكحلوا بيه عشان ينزل الدمعة ويعالج العين .. ودى
«عين الهفريت» تمنع الأعمال وتخوف الجان .. ودى «كبابه هندى»
تطعم الأكل وتستعمل فى البهارات .
● وكفاية يا عم حسن شايف مشجر العطاراة واسع رحيب وأنا لا أملك من
الوقت الكثير ..

النسر ضد البرشام :

صاحب طاحونة العطاراة كان قد وصل الآن كلما سألته كان يجيب دانا
سيد أحمد على سعودى الشهير بالنسر .. مافيش حد فى التربيعة والفحامين ما
يعرفنيش .. إزاي يا هاتم ما تعرفنيش ..؟؟
● اضطررت للاعتذار له بزمانى القاسى الذى لم يجعلنى من سكان التربيعة
والفحامين فلم يحصل لى هذا الشرف الكبير ..
● قال عم سعودى الشهير بالنسر ..
● الطب «وغلاوتك» يامدام أصله عند العطار .. ولو فيه مفهومية يدرسوا
العطاراة دى فى كلية الطب والعطار يدى فيها دروس ..
● أنا باطحن كل أصناف العطاراة عندى هنا بالطاحونة دى .. لكن فيه
. حاجات لازم تندق بالإيد زى عطاراة الأعصاب اللى هيه .. خلنجان ..
وجنزبيل وداره صينى .. وجوزة الطيب .. والحمد لله الشغل ماشى عال ..
● أغلى كيلو عطاراة .. أجرة طحنه عشر قروش زى السحلب والمغات ..
أصل الطاحونة دى عقبال عندك بترى ١٦ عيل وعيله ..!! مستغربة
ليه ..؟؟

● أصل ربنا سبحانه وتعالى ما يتعاندش ..!!
● أنا اجوزت على مراقى عشان الخلفة بصيت لقيت ربنا فتح عليا فتوح .. اللى
كانت ما بتخلفش جابت ٨ والجديدة جابت ٨ ولسه ما يستجد من
عيال .. أصل أنا مش من أنصار البرشام ..!!



- مهما دارت الطاحونة يا عم سعودى الشهير بالنسر فكيف يمكن أن تظعم هذه القبيلة حتى ولو دارت ليل نهار ..؟؟

أصل وفصل السجاد ..

المحل المجاور للطاحونة كان ممتلئاً عن آخره بالسجاد والكليم الصوف والشيلان الرجالى البيضاء ..

- شرح لى صاحب المحل حسن أحمد الرشيدى أصل وفصل السجاد والشيلان فى شارع التريعة منذ عشرات السنين قال ..
- محلات كتير هنا بتبيع السجاد ومشهورة بيها التريعة من حوالى ربعميت عام ..

- إحنا هنا بنبيع السجاد جملة لتجار الأرياف ياخدوه بيعوه بالتقسيط .. وهنا برضه بنبيع الكليم الصوف والقطن وكله يدوى على النول ..
- بيتدى سعر متر الكليم من ١٥٠ قرش ويوصل لستة جنيه وفيه برضه الكليم العدوى من أسنوط اللى يبتاع بالرطل بسعر ١٥٠ قرش .. أما الشيلان فوزاينها كلهم من السودانيين والليبيين دى الشيلان تبعهم .. تبتدى مقاساتها من مترين لغاية ٥ أمتار طول وأسعارها من ٢ جنيه لثمانية جنيه ... والسودانيين بالذات يرغبوها تمام لما ينزلوا مصر يبيعوا الغنم والجمال لازم يفوتوا هنا يشتروا بالجملة الشيلان ... ليه بقى ...؟ تنفعهم فى البرد وموسم المطر والناموس ..

- أنا أبا عن جد فى نفس المكان ونفس التجارة ..
- عندى والحمد لله بنت فى السعودية مجوزه دكتور وبنت ليسانس أثار مجوزه عميد فى الجيش وبنت فى ثانيه تجاره مخطوبة لمعيد فى الجامعة .. والولد الوحيد بيتعلم لكن مسيره للدكان ..!!.. آمال مين حايملك التجارة بعد ما أموت ...؟؟

- عالم أعجيب حقا عالم التجارة .. والتجار ..!!
- محل آخر للسجاد والكليم بجوار محل عم حسنت الرشيدى .
- يتاجر عم فتحي شحاته فى سجال دمنهور .. ويقول :

- كل عرايس الأحياء الشعبية تعرف طريق التربيعة والفحامين عشان فيه هنا كل الأصناف .. وكل واحد يختار على مزاجه ..
- سجاد دمنهور كله مكنه ويفرق عن اليدوى فى السعر كثير .. فى المتر حوالى عشرين جنيه ..
- إذما صنعة الإيد غاليه أمال إيه ..؟؟ الإيد خلقها ربنا .. وإنما المكنة صنعها لإنسان ..
- الشارع ده هادى لأن كله ناس كبار فى السن ماهومش صوت .. أصغر واحد فيهم بقاله فى الشارع مايقفلش عن أربعين عام ..

الطربوش الوحيد :

- الأحذية الشعبية أيضا لها مكان فى التربيعة والفحامين ..
- أمام مركز توزيع الأحذية الشعبية كما أصر أحدهم أن يسمى محله الصغير كان على محمد حسن يرص أحذية لكل الأعمار فى اعتناء شديد .
- قال .. الشارع ده كان شهرته فى الأول « البلغ » المغرنى .. وبعدين بدأت الأحذية الشعبية تدخل فيه بعد المغاربة ماسابوه ..
- الأحذية الشعبية اللى باييعها دى أرباحها ضعيفة جدا .. يعنى أغلى جزمة عندى ماتكترش عن ٣ جنيه ونص ..
- آخر النهار تلاقى هنا الصنایعية الصغيرين من باب الخلق وباب الشعرية والجمالية وحارة زويلة شالين البضاعة على كتافهم وجاين يعرضوها للبيع أشوف اللى يناسبنى سعره وأشتريه وأعرضه للبيع جملة ونص جملة لضواحي مصر ..
- من خمسين سنة كنت أبيع أحسن جزمة حريمى بخمسين قرش وأحسن جزمة رجالى بتلاتين لكن هيه فىن الايام دى .. ماخلاص ..!!

* * *

- من على بعد استرعى انتباهى رأس عجوز يتحرك داخل وكالة واسعة فى آخر شارع الفحامين يعلوه طربوش أحمر قان ..
- هل مازال هناك أحد يلبس الطربوش فى هذه الأيام ..؟؟

● قال عيد محمد مطر وهو رغم سنواته التي تقترب من الثمانين مازال يتحرك بنشاط بالغ داخل وكالة بيع البطاطين والأكلمة التي يعمل بها ..

● الوكالة دى زمان أيام ماجيت الفحامين كانت ملك سى محمد بن قايد من تونس وكان يبيع فيها الطرايش والبلغ والبطاطين .. وبعدين التوانسة والمغاربة مشيوا وفضلت الوكالة تبيع نفس الأصناف بس انتاج مصر ..

● الطربوش ..؟؟ ما له الطربوش ..؟ يقولوا من فات قديمه تاه .. وناليه أفوت قديمى ده كله فايده .. فى الشتا يدفى .. وفى الصيف يمنع الحرارة ونا كان باييع طرايش فى الوكالة للآن .. لسه فيه ناس بتحب تلبسها .. الدستة تجارى أبيعها بأربعة وعشرين جنية .. لكن قطاعى الطربوش بتلاتة جنية ونص .. زمان كان أحسن طربوش ماركة النسر بخمسة وأربعين قرش !!

ألم أقل أن للزمن القديم رائحة قوية فى شارع الفحامين ..؟؟

صعيدى من دشلوط :

أتأهب الآن للخروج من التريعة وفى طريقى أتوقف أمام محل صغير لبيع الأقمشة وقفت أمامه سيدة تقيس ملاءة لف سوداء حريرية تمهيدا لشرائها ..

● صاحب المحل عم عبدالصبور عبدالفضيل عبدالباق صعيدى من دشلوط محافظة أسيوط قال لى إنه يبيع الملاءة اللف بجانب الأقمشة الشعبية فمازال هناك من ترتديها وترتدى معها برقع الوجه بالقصة التي كان زمان ذهب خالص ويبيعها الآن عم عبدالصبور قشرة ذهب بائنين جنية ونص .

● لهجة عم عبدالصبور الصعيدية الخالصة لم تتغير رغم الخمسة وخمسين عاما التي قضاها فى القاهرة ..

● قال .. أنا أول واحد إدليت هنا م البلد والباقي جم ورايا .. فى الأول كانوا يستعيروا يقولوا بلدهم دلوجت يبيجى العمد .. وولد العمد يتاجروا فى مصر ..



الطرايش مازال لها وجود في حارة التريجة

- تجولى الصعيدي طبعه حاضى كيف ما تسمى ..؟؟
- دلوجت الصعيدي باله طويله عاد .. كان الأول بده حد يكلمه يفزع عليه بالسكين .. لكن دلوجيت الدنيا هديت والتعليم بجى كثير ..
- شفتى التعليم عمل ايه فى الولد محروس أخو حميدة فى التمثيلية ..؟؟ .. هراس كان بده يجتل الولد محروس التعليم نور له عقله .. رفض الجتل وخذ حجه بالراحة من جاتل أبوه !!
- إكده أحسن من النار .. عايترمى فى السجن وهو اتعلم وانصرف عليه .. كيف يروح ده كله بلا فايدة .. العلم نور .. ونا عندى ابن بنتى رائد فى البوليس .. وابن ابنى الثانى حسين حايبجى وكيل نيابة بإذن الله ..

* * *

- وكانت كلمات عم عبدالصبور الصعيدي المتنور هى أجمل ختام لهذه الرحلة فى شارع التريعة والفحامين زمام حى الأزهر العريق .

.....

درب اللبانة



فى درب اللبانة بحى القلعة يعىش رجل
عظىم أنكره الكثرىون وجمده فضله الكثرىون
لكن ذلك كله لم يستطع أن يصرفه عن حب
مصر .. عشقه الأكبر .. والوحد فهو بلا
زوجة .. ولا أبناء ..

حىاته كلها عبارة عن حلم طوئل متصل
بىسطاء مصر .. وفلاحى مصر وقصرى
مصر ..

وما زال وهو يبدأ عامه الواحد والثمانى
قادرًا على الحلم ورؤية الآمال البعيدة ..

درب اللبانة حارة تحيط بها المساجد الأثرىة الرائعة وتجاورها قلعة محمد
على .. وقلعة صلاح الدين وفى مواجهة القلعتىن يعىش المصرى العظىم
والمهندس الفذ حسن فتحى فى بىب الفن هناك أو دار الملطىلى التى بنىب فى
القرن الثامن عشر على أبده طرز فن المعمار الإسلامى ..

أثناء حدىشى مع الناس فى درب اللبانة كان كل منهم يذكر حسن « بىه »
وىدعونى لمقابلته مثلما كانوا يؤجهونى إلى أهم معالم الحارة الهاءة الواءعة
المرتفعة عن مىدان القلعة كأنها فوق سفح صغىر ..

لحارة درب اللبانة شكل خاص .. وطابع خاص .. وموقعها فرىد ..
فهى تطل من ناحية على قلعة محمد على ومجموعة المساجد الرائعة المجاورة ..
ومن طرفها الآخر تطل على مىدان القلعة وأول شارع محمد على .. وتعلو بكثىر
عن مستوى ماتطل علىه حتى أننا لا بد وأن نصعد سلالم كثرىة من كلا
الناحىتىن حتى نصل إليها .. وعندما نصل إليها فهدهوءها ملحوظ للغاية وأهم
ما يمزها أن مبانىها كلها عبارة عن مساكن أهلة بالسكان ولىس بها غىر أربعة
دكاكىن لاثنىن من التجارىن وصانع لمنتجات خان الخلىلى وبائع جاز .. ولىس
بها عمارة حدىثة على الاطلاق بل إن أءدب بىب فىها لا ىقل عمره عن سثنىن
عاما ومع ذلك فما زالت مبانىها قووة صامدة لم يؤثر فىها الزمن بعد ..

يقع بيت الفن أو دار الملطيل في أول الحارة تماما يواجهه بيت أثرى آخر تهدم الآن ولم يبق منه غير باب وجدار كان فيما مضى وحسب ماتذكره كتب التاريخ « تكية » لإيواء فقراء « الأعجام » منذ القرن الثالث عشر أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون وظلت قائمة بواجبها نحو « فقراء الأعجام » حتى ما يقرب من تسعين عاما مضت .. وكان إيرادها في كل عام .. ألفان وثلاثمائة وثمانية وستون قرشا كما ذكر على باشا مبارك .. كانت تكفى لكسوة وطعام وشراب وراحة ورفاهية كل فقير من الأعجام يأوى إليها ..

أما حارة درب اللبانة نفسها فقد كان لها باب يغلق عليها أفاض المؤرخون في وصف جماله وحسن عمارته .. ولم يبق له أثر الآن ..

لم يمهلى سكان درب اللبانة حتى أبدأ الحديث معهم فالحارة من فرط هدوءها وخلوها من المارة تظهر على الفور أى غريب بطرقها لذا تقدم إلى أحد التجارين اللذين يشغلان المحلين الواقعين على يمين المدخل يسألنى عما أريد .. وفى محله المليء بقطع الأثاث الدقيقة الصنع قال عبد الرحيم حسين ..

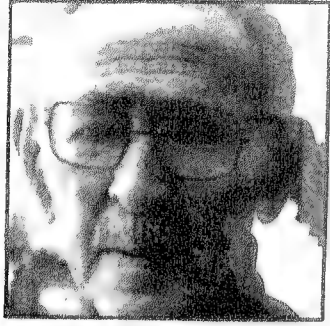
● سبب تسمية درب اللبانة إن كان فيه هنا من زمان عيلة بحالها بتتاجر فى اللبن ومنتجاته .. كانت تقريبا يتمون نص القاهرة .. ده زمان طبعا قبل القاهرة ماتبقى ٨ مليون ..

● أنا هنا فى درب اللبانة من زمان .. جار بيت الفن ده ..

● ياسلام على الخشب والنجارة .. ده فن كله بدع وابتكار .. منى عيني نرجع للفن القديم فى النجارة ده أصلنا وتاريخنا .. والواحد لما بيطلع حته أرابيسك أو خشب معشق بيقول بصحيح أنا عملت .. لكن آه من قلة الإيد العاملة بقت مشكلة المشاكل ..

● على فكرة فيه واحد مهم أوى فى بيت الفن لازم تتكلمى معاه بدال حاتكتبى عن درب اللبانة .

● حسن بيه فتحى ده مهندس عظيم أوى .. وراجل أمير ينزل الصبح يحيينا ويسلم علينا .. ويقولوا إنه ماسك شغل فى جميع دول العالم بس ياخسارة مصر مش معترفة بيه ...



حسن فتحي

عاشق عظيم لمصر ..

لم يجد فيها حظه ...

● أبدأ الآن في الاتجاه لداخل الحارة الهادئة عندما يستوقفني محل آخر مليء عن آخره بسرج الجمل الخشبي المطعم وبالتحف الخشبية بالصدف التي يتميز بها خان الخليلي .. وفي داخل المحل الصغير كان هناك رجل في حوالى الخمسين من عمره بمفرده وسط هذه الأكوام من التحف الصغيرة المنمنمة ..

محمد أحمد الأشقر صاحب هذه الورشة الصغيرة في الثالثة والخمسين من عمره .. في ورشته هذه هو كل شيء هو صاحبها ومصممها والعامل الوحيد بها .. هو يشكل الخشب ويدهنه ويطعمه بالعاج أو الفضة أو الصدف ويخمله أيضا للبازارات في الخان ..

● قال .. أنا الأشقر الشهير بالسنى .. أصلى كنت مربى دقنى زى دقن كاسترو بالضبط .

● نظرت إلى وجهه الخلق تماما وقبل أن أسأله أين ذهب قال ..

● فضلت أربها سنين واعتنى بيها لغاية ماجيت اتجوز مافيش ولا واحدة رضيت بيا .. كل ماعروسة تشوفنى تلاقينى بالدقن أكبر من ابوها وبعدين أتكلت على الله وحلقتها .. قبلتنى أول عروسة رحت لها ..

● أنا كنت باتعامل مع واحد خواجه في بيت الفن كان اسمه الخواجا ميلو كان فاتح شقة في بيت الفن للسياح زى كده ولا مؤخذه نادى ليلى شرقى وكان ياخذ منى البضاعة اللى أعملها .. وبعدين الخواجا مشى دلوقت .. وفيه حسن بيه ده جارنا من زمان .. راجل سكره ويقولوا عليه مهندس عظيم أوى .. بس انا معرفش بصراحة بنى أيه .. ؟

العودة للقديم ..

الحارة تمتد الآن هادئة ساكنة تحت شمس الظهيرة وقد أرجعت زيارة بيت الفن حتى أستكشف بقية الحارة ..

أحد منحنيات الحارة ينتهى بما يشبه الشرفة الواسعة ولها سور حديدى يطل على ميدان القلعة ويتفرع من الشرفة سور حديدى ينحدر إلى الميدان .. فى هذه الشرفة وقفت أتأمل الميدان الواسع الرحيب تحيط به المآذن والمساجد الرائعة من كل جانب .. وغير بعيد كان يبدو شارع محمد على مزدحما بالناس ينحدر هابطا فيه الترمواى العتيق ..

تطوع سعد حسين من سكان الحارة بأن يدلنى على نهاية حارة درب اللبانة قال ..

● أنا صحيح عندى ١٦ سنة بسلى لكن فخور- أوى بجوار بيت الفن .. أنا دخلته من جوه واتفرجت عليه وسحرتنى العفش الجميل الى جواه .. صحيح الإيدى المصرية عظيمة ..

● أنا حببت أوى العفش الى جوه لدرجة إنى اتمنى لما يبقى لى بيت إنى أعمل زى كده ..

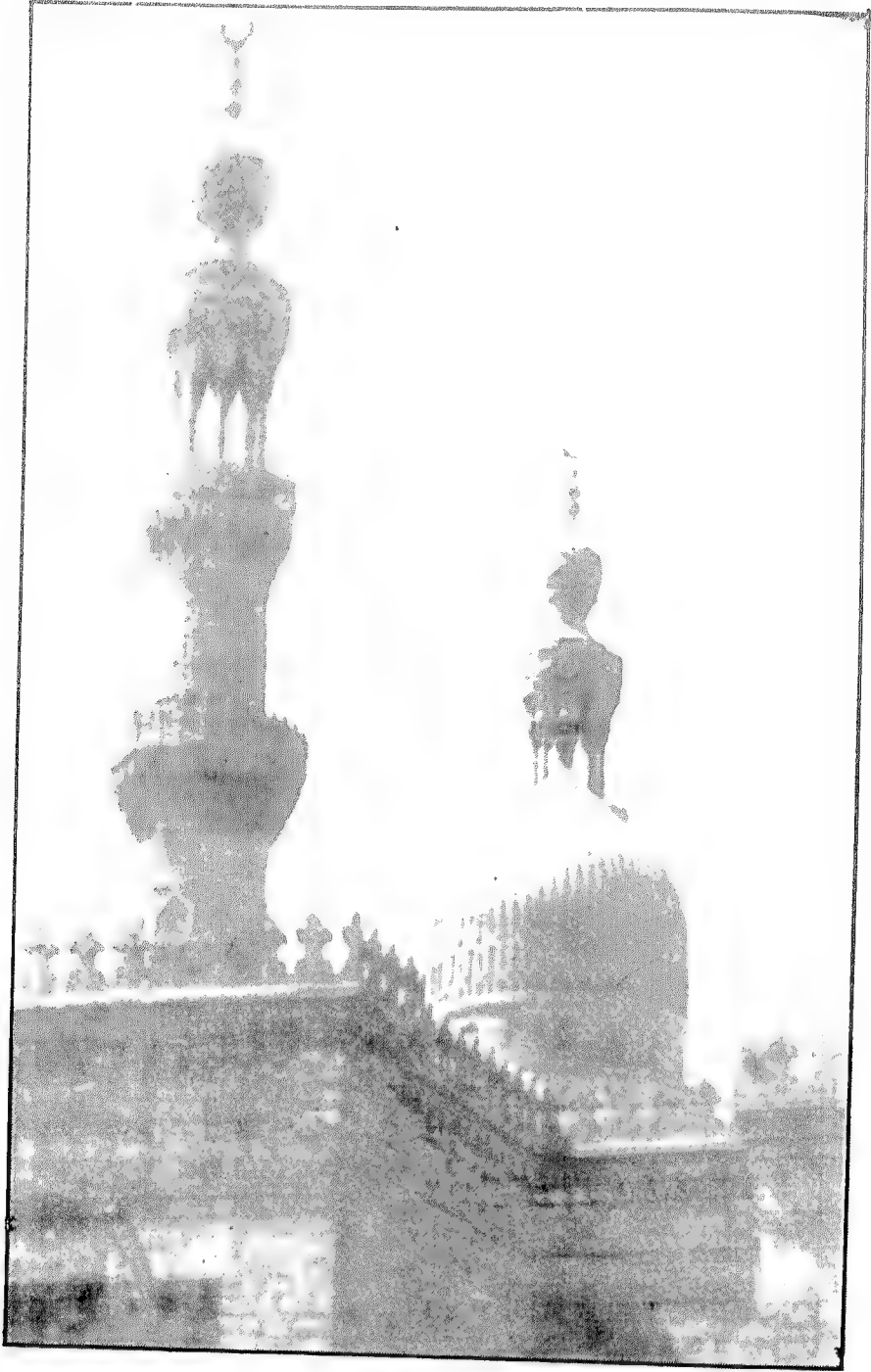
● أنا من مواليد درب اللبانة .. واحب درب اللبانة جدا لان له شكل تانى غير بقية الخوارى .. وباخطط لمستقبلى إنى أكون مهندس تبريد وتكييف ..

● فى الصيف باشتغل صبى فى ورشة عشان اتعلم الصنعة لغاية ما اتخرج من الجامعة ..

قاهرة القرن ١٨

أمام بيت الفن تماما تحتها تنصب لوحة الرسم وتنبأ للرسم متطلعة إلى واجهة البيت بتمعن :

قالت آمال حسين طالبة بكالوريوس الفنون التطبيقية إنها تستعد لرسم واجهة بيت الفن كنموذج لعمارة القاهرة الإسلامية فى القرن الثامن عشر وهو ما اختارته ليكون مشروعها للبكالوريوس ..



في درب اللبانة مآذن الفن الجميل .

آمال رغم سنواتها الإثنين والعشرين متحمسة تماما للقديم ..
قالت .. تصورى لما يكون لنا طابع خاص فى العفش والديكور .. !! لما
أى إنسان يدخل البيت يعرف على طول إن البيت ده مصرى على طول ..
● أنا باحلم باليوم .. اليوم اللى نستوحى فيه كل أثاث بيوتنا من تاريخنا وتراثنا
بدل اقتباسنا من كل بلد فى العالم ما عدا بلدنا ..
● البيت المصرى حاليا أشتات من كل جنسية ده طقم فرنساوى .. ودى أودة
انجليزى .. وده أنتريه مودرن .. مفيش طابع خاص بالمره .. حتى شركات
القطاع العام بتساعد على تبريد الطابع المصرى ..
● لو إن شركات القطاع العام لابتدت بتوفير أثاث له طابع عربى وإسلامى فأنا
متأكدة إن الإقبال حايكون شديد على المنتجات دى لإن القطاع الخاص لما
يصنعها بالطلب بتكلف غالى أوى ..

كانت مشربيات بيت الفن الدقيقة الصنع فى الواجهات تنعكس
داخل عيون آمال وهى تتكلم بحماس وكأنها تجسد حلمها حقيقة
داخل العيون الشابة المتحمسة .

حسن فتحى أخيرا ..

أقرب الآن من بيت الفن ..

على بابه يجلس عجوز استقبلنى بترحاب بالغ وقال لى إنه شعبان على
خاطر حارس بيت الفن منذ خمسة عشر عاما ..
فى الثمانين من عمره .. عمل حارسا لبيت الفن بعد إحالته للمعاش وكان
عاملا فى البلدية ..

قال عم شعبان .. البيت ده من وقت الأغا أيام التراكوه ما كانوا ماسكين
هنا فى مصر .. ونا أول ما مسكت هنا حراسة البيت جابنى الخواجة « ميلو »
الى كان ساكن فى الشقة الوسطانية وكان بيعمل حفلات وهيصه للسياح ..

لكن بقى من غير مؤاخذه طلع تجاسوس فى حرب ٦٧ والحكومة طردته ..
ولما مشى جه الأمير صدر الدين خان وأجر شقته أصله كان انعزم مرة عند
الخواجه وعجبه البيت والحارة ..!!

* * *

وجهتى الآن إلى الطابق الأعلى من البيت حيث يسكن المهندس حسن
فتحى ..

يقودنى إلى أعلى عم شعبان عبر سلم من الحجر وأمر فى طريقى على
مشريبات وأبواب رائعة الصنع والجمال حتى أضل إلى الدور العلوى فيسلمنى
إلى كريمة التى تشرف على بيت حسن بيه ..
فى صالة كل ما فيها عربى .. إسلامى الطراز أجلس فى انتظار حسن بيه
الذى كان بالداخل يصلى ..

لا شىء فيما حولى حديث أو ميت إلى أيامنا الحالية بسبب .. حتى
الأبسطة على الأرض من النسيج اليدوى على الطراز العربى .. وأشغال الرخام
والنحاس تملأ المكان .. وليس هناك ما ينتمى للعصر الحديث غير آلة التليفون
السوداء التى تقبع على صينية عربية من النحاس الأصفر ..

أطل حسن بيه على الصالة قادما من الداخل ..
عجوز مشوق القوام . منتصب القامة .. يقترب بخطوات ثابتة ..
كان التهيّب قد أخذ منى كل مأخذ وهو يقترب ..

هذا هو الاسطورة الهندسية التى بنت قرية القرنة فى الأقصر فى الأربعينات
بحسابات دقيقة فى الفن الهندى لينتقل إليها أهالى الجبل بعيدا عن الآثار .. لكن
خصومه حكموا عليه وكان حكمهم قاسيا .. فبعد ان فرغ من بناء القرية كما
أحب وكما صور له طموحه الهندسى حكموا بأن تظل خالية من السكان بعد أن
نشروا الإشاعات والأقاويل حولها .. وقدم حسن فتحى للتحقيق بتهمة الإبداع
الهندسى والفنى وظلت قرية القرنة خالية تشهد على عبقرية مهندس أحب وطنه
وبنيه .. وعلى وضاعة نفوس حاكمة ..

ضاع متى خيط الحديث عندما رفض المهندس حسن فتحى أن يتكلم عن نفسه أو نشأته أو عن أى شىء خاص به عدا أنه من مواليد عام ١٩٠٠ أى يبلغ من العمر الآن ثمانين عاما ..

● قال .. ماذا يفيد الناس من معرفة شخصيتى وماذا أحب .. وماذا أكره .. يستفيد الناس أكثر لو عرفوا شيئا عن حلول مشاكلهم .. ونوعية تفكيرى وجهدى المتواضع من أجلهم ..

بدون أن يذكر أسماء مضى حسن بيه فى حديثه الذى جعلنى أنصت صامتة دون أن أقاطعه لسؤال ..

كانت قيم التسامح .. والعلم .. والإيمان العميق وعظمة العلماء تسرى من حولى محسوسة مع الكلمات التى كانت تخرج بطيئة واضحة من فم حسن بيه ..

لم يذكر أحدا بسوء وإنما قال سألهم الله جميعا .. ولم يتهم أحدا بمن عوقوا مشروعاته ووقفوا فى طريقه دائما .. التمس لهم العذر .. ولم يسمح للمرارة أن تلون حديثه الطويل وإنما قال جملة واحدة فى سياق حديثه كان هى الخلاصة الواضحة التى جعلتنى أحنى رأسى تحية واحتراما ..

● قال : كان ومازال عندى دائما حلول لبلدنا فى مجال الإسكان .. لكن الوضع الذى كان بالنسبة لى دائما .. كأن مصر دى أمننا جميعا مريضة والدوا موجود لكن إخوانى ييمنعونى إنى أسقيها الدوا !!!

لا كرامة لنى

وتكلم المهندس المصرى العظيم حسن فتحى وأنا أنصت ..

● هناك إحصائية للأمم المتحدة منذ ١٥ سنة تقول أن هناك ٨٠٠ مليون نسمة من فقراء العالم الثالث محكوم عليهم بالموت المبكر بسبب سوء السكن .. هذا بخلاف سوء التغذية بالطبع ..

● هؤلاء الفقراء كانوا هم عائلتى الحقيقية على مر السنين الطويلة .. فكرت فيهم دائما. وفيما يمكن أن أقدمه لهم ..

● أفكارى كانت بسيطة كبساطتهم وسهل تنفيذها لراحتهم لكن .. لم يكلف

أحد نفسه الاهتمام الحقيقي بهم .. لذلك كنت أقابل بالصد في كل مكان ..
● في بلدى مصر .. كانت فكرتى عن العمارة الريفية وإنشاء منازل الفلاحين وساكنتى الصحراء أنها يجب أن تكون بالطوب اللبن وبالمواد المحلية فقط وباتباع نظامهم الخاص فى البناء الذى أثبت نجاحه منذ آلاف السنين وكان يحقق لهم تيارا متجددا من الهواء داخل البيت فى الصيف ويحتفظ بالدفء فى الشتاء ..

● لكن ذلك لم يعجب الكثيرين .. وراحوا يبنون فى الصحراء القاسية الحرارة مساكن لساكنيها بالخرسانة المسلحة التى تمتص الحرارة وترفعها داخل المسكن حتى أن تقييما علميا تم فى معهد أبحاث البناء أثبت أن الفرق بين حرارة بيت الطوب اللبن وحرارة بيت الخرسانة المسلحة يبلغ ١٧ درجة مئوية فى الصيف القاسى ..

● لم يفكر أحد فى المسكين الذى يسكن مثل هذا وكأننا نقتله متعمدين بأيدينا ..

● القباب واستخدام مساقط الهواء التى توارثناها فى العمارة الريفية منذ آلاف السنين هى أصلح أساليب البناء فى الريف والصحراء ..!! لكننا لا نستعملها رغم أن تكلفتها منخفضة للغاية لكن المادة تحكم كل شئ .. فإذا كان من يبنى سيحصل على أتعاب وربح ١٠٪ مثلا من قيمة التكلفة فليس من مصلحته بالطبع أن يخفض التكاليف من ألف جنيه مثلا إلى مائة جنيه ..

● للناس البسطاء أيضا كنت قد تقدمت بمشروع يقضى بإنشاء بحيرة صناعية بجوار كل قرية لا تتجاوز مساحتها خمسة أفدنة تمد الناس بالسماك اللازم لهم ونستطيع تطهيرها باستمرار .. لكن ذلك لم يلق اهتماما أيضا ..

القرنة .. جرح مفتوح ..

مازال حسن بيه يواصل الحديث ..

● فى الأربعينات بنيت قرية القرنة فى الأقصر حسبما هدانى علمى وحبى للناس ..

● بنيتها بالطين وبطريقة القباب والقبابى وتكلف المتر المربع ٣ جنيهات وستين قرشا فقط ..

● عندما وقفت كل القوى فى وجهى بسبب هذا الاجتهاد المرفوض .. جاءنى الملحق الثقافى الأمريكى وأبدى استعداد بلده لاستقبالى هناك لأبنى عندهم ما أشاء بطريقتى التى آمنوا بها .. لكنى رفضت لأن بلدى أحق بما أقدمه !!..

● أدرك الآن أن هذا القرار كان خاطئا .. فلو كنت ذهبت من وقتها لجاء وقت ونقلت فيه مصر عن أمريكا نفس الطريقة واستعملتها لأننا نرحب بالنقل عن الآخرين وليس بالابتكار الذائقى ..!!.. وظلت قرية القرنة مهجورة سنين طويلة حتى لا يعترفوا بنجاحها لكنها أصبحت مزارا رغبا عنهم لكل المهتمين بالعمارة الريفية فى العالم .. حتى أن جامعة أثينا كانت تنظم فى كل عام رحلة لطلبة كلية الهندسة بها ليشاهدوا القرية كنموذج للعمارة الريفية الكلاسيكية ..

● قرية أخرى بنيتها فى قرية باريس بالواحات الخارجة على نفس النمط .. استعملت فيها مساقط الهواء حتى أنه عند عمل بحث لسرعة الهواء فى المخازن الأرضية بلغت سرعته مترين ونصف المتر فى الثانية الواحدة فى قلب الصحراء القاسية الحرارة وكانت القرية تضم سوقا مساحته ٢٢٠٠ مترا مربعا تكلف فقط ١١ ألف جنيه .. لكن .. لأن استراحة مدير المنطقة ومساحتها ٢٠٠ متر فقط كانت تبنى فى نفس الوقت بالطرق الحديثة وكانت قد تكلفت ٣٤ ألف جنيه فقد أوقفونى عن تكملة القرية واستخدموها فيما بعد كمعتقل لمهرى الحشيش ..!!..

● لا أستطيع أن أقول أكثر من أننى كمهندس .. طالما أملك القدرة والوسيلة لراحة الناس فإن الله لا يغفر لى مطلقا أن أرفع الحرارة داخل البيت ١٧ درجة مئوية متعمدا .. هذا أمر أحاسب عليه كإنسان قطعاً أمام الله ..!!..

● فى وقت ما تمكن الألم منى بشدة .. فدفعنى إلى الهجرة لمدة أربع سنوات .. لكننى وجدت ما هو أسوأ ففى البلاد النامية المحتاجة فعلا لخفض تكاليف البناء وجدت أنها تستخدم منحاً من الدول الغنية لمساعدتها فى هذا المجال ..

- ومعنى أن يتبعوا طريقتى فى خفض التكاليف واستعمال المواد المحلية أن تقل عمولات الوسطاء فى العمليات وهكذا لم أفلح أيضا وعدت إلى بلدى بعد سنوات أربع بحثت فيها عن العدل والرحمة ببسطاء الناس لكنى لم أجدهما على الإطلاق ..

● الأطماع المادية وحش شره فى كل مكان وله أساليبه المتقنة فى التغلب على أى جهد مخلص جاد .. هل من المعقول كما حدث أخيرا أن نستحضر خبراء من السويد لحل مشاكل السكنى فى النوبة ؟؟ ..

● البيت بالنسبة للإنسان مثل الملابس تماما يجب أن تكون مريحة مناسبة يتيح له الحركة بسهولة ويسر لكننا لا نفكر أبدا فى أن نسأل الفقير عن رغباته فى مسكن بينما نعدل ونبذل لنرضى الغنى حين نبني له ..

● كان هذا الفقير وراحته فى بيته هو قضيتى طيلة سنين حياتى .. وإذا كنت لم ألقى التقدير على الأرض فهذا لا يهم .. لأننى أوجدت سببا لوجودى فى هذا العالم وعملت من أجله بإخلاص .. والذى يكافئنى على هذا هو الله سبحانه وتعالى .. وليس المخلوق ..

* * *

كانت هناك مساحات لم أستطع الاقتراب منها فى شخصية «حسن بيه» . كنت أشعر بوضوح أن الاقتراب منها يمكن أن يفتح جروحا نائمة .. منها عدم زواجه واغترابه عن حياة الأسرة والبيت ليدوب فى عالم الهندسة والحلم الدائم الطويل من أجل البسطاء والفقراء من الناس حتى نسي نفسه تماما طيلة هذا العمر الطويل ..

هل ندم على ذلك يوما ما ..؟؟

هل تشوق يوما فى رحلته الطويلة للبيت والأولاد ..؟؟

هل يعانى من الوحدة أحيانا فيود لو يعود الزمان ليسلك طريقا آخر غير ما اختاره لعمره الطويل ..؟؟

أسئلة كلها ظلت بغير جواب لأننى لم أجرؤ على توجيهها .. وخدش الجلال الذى يحيط بحسن بيه ..!!

لكن .. وفي الثمانين من عمره فإن المهندس حسن فتحى يفعل الآتى :

يشارك فى إنشاء معهد للتكنولوجيا المتوافقة فى استخدام أساليب البناء مركزه الرئيسى فى كورسيكا وله فرع فى مصر لخدمة بلاد العالم الثالث ..

يبنى قرية فى سنتافى فى نيومكسيكو بالطوب اللبن على غرار قرية القرنة ليبينوا على نمطها فى جميع أنحاء البلاد لأنها تتوافق مع جوهم وسيأخذ معه بناءين مصريين ليعلموهم طريقة البناء التى استخدمت فى القرية والتى أنكرناها هنا وعاقبنا حسن فتحى عليها طويلا .. طويلا .. بطول عمره ..

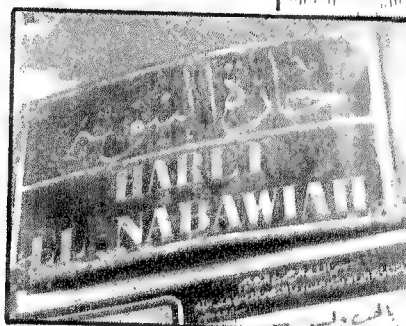
المهندس حسن فتحى يحمل الدكتوراه الفخرية من أكثر من ست جامعات فى الخارج ويدعى بصفته الشخصية إلى أى مؤتمر دولى للهندسة أو البناء أو الاستيطان .. لكن نقابة المهندسين المصرية لا تعرف له عنوانا على الإطلاق .. ولم يمثل مصر رسميا فى مؤتمر دولى أكثر من مرتين خلال هذا العمر الطويل ..

كتابه عن قرية القرنة ترجم إلى خمس لغات حية ويدرس كمرجع للعمارة الريفية فى جامعات الخارج ولا تعلم عنه جامعاتنا ولا طلبة كلية الهندسة شيئا .. !!

أهبط الآن إلى درب اللبانة ثانية .. ونسمة العصر قد بدأ الهواء يسرى بها .. وتفاجئنى ضجة ميدان القلعة وشارع محمد على وأشعر فى قلبى بألم هادئ ينتشر بهدوء ليشملى كلى وأرفع عينى تلقائيا إلى نافذة علوية فى بيت الفن الرابض على مشارف درب اللبانة لأدرك فى لحظة أننى تركت جزء من قلبى مع الشيخ الجليل الموجود هناك ..

.....
.....
.....
.....
.....

حارة النبوية



هنا يلتقى الدين ... والدنيا
حارة صغيرة وادعة لا تلفت النظر أبدا ...
نصفها مسقوف .. ونصفها الآخر مكشوف
للسماء .. لكنها .. تضم جوهرة غالية من آل
بيت النبى فى مصر!!

هى حارة السيدة فاطمة النبوية ..
سيدة أهل اليقين .. وباب تفرج الكروب للمستغيثين ... هى الطاهرة
النقية بنت الإمام الحسن وأخت السيدة سكينة ... وشقيقة سيدى على زين
العابدين ..

يحتضنها الحى العريق .. الدرب الأحمر فيحيط بها فى وسطه تماما ... يجتاز
القاصد إليها شوارع متداخلة وحارات كثيرة حتى يصل إليها فإذا هى محاطة من
كل جانب بمنافذ تنتهى جميعها إلى المقام الكريم .. كأنما أراد الناس أن يكفروا
عما لقيت فى زمانها من آلام فوصفوها فى مكان القلب تماما من الحى العتيق ..
ويتغير الزمان .. وتمر الأيام ... وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته
ثابت لا يتغير فى قلوب المؤمنين ...

كذلك أبدا لم يغير الزمان من معالم المكان منذ بنى عباس باشا الضريح
والجامع لزهرة آل البيت فى هذه الحارة ... فبالقرب منها درب شغلان ...
وزرع النوى على يسار السالك إلى درب التبانة ودرب السباع آتيا من باب
الخلق عبر باب الوزير وهى نفس الأسماء لم تتغير منذ أطلقت على أماكنها من
قديم الزمان .

ولو جاز الوصف بهذه الطريقة لقلت أن لمسجد السيدة فاطمة النبوية
طلعة هبة تشرح صدر المقبل عليه فيتنسّم نفحة من عطر آل بيت النبوة وهو
يدلف إلى المسجد المتوسط الاتساع وبه ستة أعمدة من الرخام ... وعلى المقام

قبة مرتفعة ... والمقصورة من النحاس الأصفر .. وفي الخارج رحبة صغيرة مفروشة بالحصير يحيط بها درابزين من الخشب ليجلس فيها من يقومون بخدمة الضريح ...

الدنيا تبدأ من هنا ..

هذا عن المسجد حيث الصلاة والدين ... أما في الخارج فالدنيا بكل ما فيها من مغريات .

رحبة واسعة تبدأ بعدها الحارة في جزئها المكشوف للسماء ... وفي الرحبة اصطفت عربات كثيرة في صفوف وهذا هو الجراج .. نظرت حولي لعل أجد بابا أو سقفا لهذا الجراج لكنني لم أعثر على غير العربات منها للسماء وبجوارها وقف صاحب الجراج .. شابا في حوالى العشرين يغسل بنفسه العربات في اعتناء .

● قال جمال اللبان صاحب الجراج .. إنه مورد الرزق الوحيد لأبيه العاجز وسبت من الأخوات ... يتسع الجراج لحوالى عشرين عربة كلها عربات أبناء الحى في الحارات القريبة .. ولو فتح الباب لقبول كل طلب لمبيت العربات لانسد الشارع من كثرتها .. لكنه يعرف للجوار الكريم حقه لذلك يكتفى بالعربات العشرين ..

قال جمال إن طراز معظم العربات التى يرهاها الجراج هو ١٢٨ وهناك عربة نصف نقل وثلاث عربات ١٣٢ إحداهما لصاحب مقلة لب والاثنتين صاحبهما من الباطنية ولا عمل له فى الباطنية كما أصر جمال ..

سيدة بنت محمد ..

● فى مدخل الحارة وعلى اليمين على دكة خشبية تجلس عجوز لا يمكن أن تكون بأى حال من الأحوال فى عمر أقل من المائة عام .. كان جسدها النحيل يرتجف فى عز الصيف .. من لسعة برد وتجلس فى الشمس لتتدفأ ... فى كلمات ثقيلة متقطعة قالت دون انتظار لأسئلتى ..

إسمى سبده بنت محمد ... أمى ماتت ما أوعاش عليها .. لما طفشت من مرات أبويا رحت لخالى جوزنى من « سى » محمد لبيب الله يرحمه ..

« سى محمد لبيب » إسم النبى حارسه موظف فى الكتبخانه وزمانه جاى ...
نظرت إلى السماء وقالت - لما الظهر يدن ييجى بعده بشويتين ..

مرات أبويا كان قلبها حجر .. وانا كنت عيله بنت تسع سنين أملاً صفيحة
الميه من الحنفية وعقبال ما أوصل البيت يكون نصها إتدلق .. تقوم تكوينى
بسيخ الحديد .. لما خالى جوزنى « سى محمد لبيب » ندرت ندر إن جيت بنت
أخليها ماتشيلش الياسمينه من ع الأرض .. لكن ربنا مارزقيش ..

● أنا ما اعرفش سنى كام .. لما جيت أعمل بطاقة السكر والزيت قلت لهم
اكتبوا اللى تكتبوه لكن فاكروه ونا صغيره .. الباشا الكبير عرائى لما قام عمل
هوجه على السلطان ربنا يسهل له ... حد برضه يقيم راسه على السلطان ..
● الباشا اللى جه بعده مصطفى كامل كان شاب حليوه الانجليز حطوا له السم
ومات .. وسى محمد لبيب زعل عليه أوى .. وعيط كثير ..

● اضطررت أن أتدخل فى الحديث بعد أن أخذ التاريخ يصبح فى خبر كان على
لسان سيده بنت محمد الذى بدا واضحاً أنها تتذكر جيداً تاريخها البعيد ولا
تدرى شيئاً عن الزمن القريب ..

● سألتها عن سنّها فقالت أنا ما اعرفش لكن لما مرات أبويا كانت تحمى السيخ
كنت بنت تسع سنين ولما سى محمد لبيب مات كان عندى فوق الثلاثين ..
● زمانه جاى سى محمد لبيب .. ييجى من الكتبخانه بعد أذان الظهر
بشويتين ..

● كانت سيده بنت محمد تجلس فى الشمس قرب مسجد السيده فاطمة النبوية
مثالاً حياً للعمر الطويل عندما يفترس فى الإنسان كل شىء ... الصحة
والقوة ... والذاكرة ... ونور العيون ...

● قال لى أهل الحارة إنها بركة الحارة وتقيم فى المسجد على الدوام وتنام بجواره
عندما تقفل الأبواب ويحن عليها كل من له قلب من السكان ولا تبلى
ملابسها أبداً لأن الله يرزقها دائماً بالجديد قبل أن يبلى الجديد ...

مدد .. يا ست ..

الحارة على صغرها تحوى الكثير فرغم أنها لا تمتد لأكثر من مائة متر إلا أن
بها حرفيين وتجار ودكان نجار وقهوة صغيرة وتنتهى بمصنع كبير لكل أنواع

الأثاث يمتد خارجها حتى. يصل إلى شارع الثبانه وهو مصنع الجمعية المصرية التعاونية لمنتجى الأثاث بمحافظة القاهرة .. وتلقى مأذنة مسجد فاطمة النبوية بظلها على الجميع ..

● فى القهوة كان عم درويش على محمد صاحبها يجلس هادئا يتمم بورد بصوت خفيض .. يؤمن عم درويش إيمانا عميقا بأن السيدة فاطمة النبوية ترعاه هو بصفة خاصة منذ وقت طويل ... فكم مر عليه من أزمت فكان يلجأ إليها ويترك دموعه تسيل داخل المقام فلا يمر اليوم حتى تكون الأزمة قد لاح لها حل ..

آخر هذه الأزمات التى ألت بعم درويش وهو فى السادسة والستين كانت منذ شهور عندما رماه المرض أرضا لا يتحرك وانغrust فى جنبه سكاكين تقطع فيه ليل نهار واضطر لإغلاق القهوة التى يأكل من إيرادها عشرة من الأولاد وهو وزوجته ..

فى المستشفى قالوا له إن جسمه يحتوى على حصوة كبيرة فى الكلى ولا بد أن يصل إليها مشرط الجراح ..

● يقول عم درويش .. خرجت من المستشفى والدنيا ضيقة فى وشى والعيال على وش امتحانات .. وما فيش فلوس والعملية أكلفها منين ...؟؟ دخلت على الست وعيظت وصليت لربنا ودعيت ... ثانى يوم سكت المغص .. ثالث يوم نزلت الحصوه لوحدها وارتحت من الألم ومن التفكير ... شا الله ياست ...

● عم درويش يؤمن أيضا بالعلم فى حياة الإنسان .. حتى الآن تخرج من العشرة أولاد أربعة فى الجامعة والباقي فى مراحل التعليم .. وكبرى البنات اسمها فاطمة .. وأكبر البنين اسمه .. حسين ..

باتا اسم شهير

● بجوار القهوة أربعة دكاكين صغيرة متلاصقة لا تزيد مساحة الواحد فيها عن متر فى متر وكلها تعمل فى تصنيع الأحذية والشباشب الجلد باليد وبآلات بدائية للغاية ..

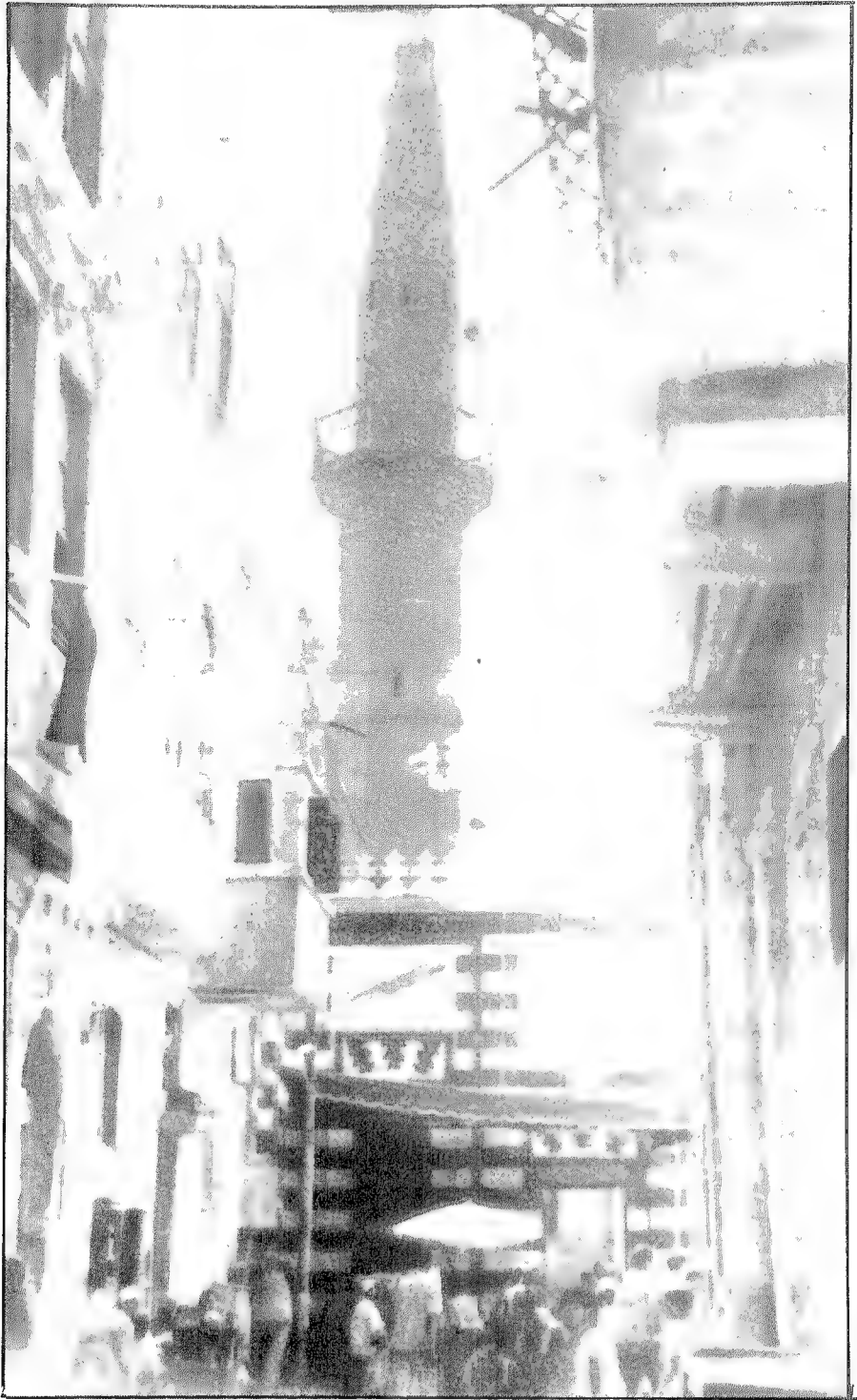
إقتربت من أولها وكان الدكان الصامت الوحيد الذى لا يتحرك فيه إنسان ولا تعمل فيه يد .. صاحبه حنا راغب حنا كان جالسا أمام الدكان والههم 'يكتنفه فعنده مشكلة لا يعرف هل لها حل أم لا ..

● عم حنا يعمل فى زخرفة جلود الصنادل والشباشب النسائية التى كانت موضة منذ سنوات .. ترسل له مصانع الأحذية « الوش » فقط أى وش الصندل أو الشبشب النسائى الأنيق ليطبع عليه رسومه الملونة الفرعونية والإفريقية وغيرها من الرسوم التى كانت شائعة على أقدام النساء منذ سنوات .

● كانت الحالة آخر رواج كما يقول .. مكسب اليوم الواحد ما بين ثمانية وعشرة جنيه .. لكن الحال تغير تماما منذ عامين بطلت هذه الموضة من الأحذية وانقطع الرزق وأصبح عم حنا خاليا من الشغل وهو الذى لم يتعلم فى حياته صنعة أخرى عدا النقش على الجلود ولا يدرى ماذا يفعل الآن .. مشكلة عويصة حقا فلا ذنب لأحد فيها وليس لها أيضا من حل لكنى طمأنته بأن الموضه مجنونة ويوما ما سيعود الجلد الملون المنقوش إلى أحذية النساء لكن متى ...؟ علم هذا عند الله ...

● الجدار واحد بين عم حنا والدكان الملاصق له الذى يجرى فيه العمل على قدم وساق وفيه وقف شاب متأنق يشرف على العمل وينسق قطعاً من الجلد الفاتح عبارة عن الفرشة الداخلية للحذاء مطبوعاً عليها باللون الذهبى كلمة « باتا » .

● كنت أظن أن « باتا » الشهير مصنعه الخاص .. لكن سمير على عباس شرح لى أن كل أحذية باتا تقوم بصنعها دكاكين صغيرة مثل الدكان الذى يقف فيه منتشرة فى جميع أحياء القاهرة .. ويختار « باتا » مورديه كل عام من خلال مسابقة يعلن عنها ويتقدم إليها صانعو الأحذية فى كل مكان وقد رسا العطاء هذا العام على هذا الدكان الصغير ليقوم بتوريد السابو الرجالى وأحذية المدارس للأطفال ... يقوم باتا بتسليمه كل المواد الخام ويتسلم منه الأحذية جاهزة وملصق عليها أيضا إسم باتا الشهير باللون الذهبى الجميل ..



مأذنة فاطمة النبوية تحرس الحارة الضيقة

● في المحل أيضا سمير عباس طالب في الثانية الثانوية ويقف في الصيف ليساعد أباه ... لكن أحلامه تبعد كثيرا عن الحارة وعن باتا وعن الأحذية بكافة أنواعها. أحلام سمير تنحصر وتتركز في التمثيل .. يحلم كثيرا بالسينما والمسرح وبمعهد التمثيل وبأن يمثل دورا صعبا معقدا يشهره ويجعل الناس يشيرون إليه في الطرقات كدور محيي اسماعيل في الإخوة الأعداء ... ومن أجل ذلك يطيل سمير شعره ل يبدو حقيقة كالفنانين .

نتراب الميرى ..

في الدكان الملاصق تماما تختلف الصورة

في هذا الدكان الصغير يعمل المنشار وتتعالى أصوات الدق على الخشب وتمتلئ المساحة الضيقة بأشكال وألوان من الأثاث الضخم الجميل الذى لا يتناسب حجمه ولا شكله مع الحارة الفقيرة الضيقة .. وفى الداخل وقف شاب نحيل يرسم على الخشب بتدقيق .. من قبل أن أخطو إلى داخل الدكان عرفت على الفور لمن من المحال الكبيرة الشهيرة يعمل هذا المصنع الصغير فقد تذكرت على الفور هذه الأشكال الرائعة التى سبق أن رأيتها فى أحد محال قصر النيل الشهيرة للأثاث ... وأكد لى هذا الظن فورا الشاب النحيل فتحنى أحمد عبده مدرس الحفر على الخشب بمدرسة العباسية للصناعات الزخرفية .

● قال لى فتحنى ... خساره جدا سنين العمر الى راحت فى التعليم .. لو كنت ابتديت صبى فى السوق كنت استفدت أكثر وكان دخلى دلوقت خمس أضعاف الثلاثين جنيه الى باقبضهم بعد ١٠ سنين فى التربية والتعليم ..

● أنا مدرس أويا فى المدرسة ساكن بخمسه جنيه وباركب بخمسه جنيه وباصرف سجائر خمسه جنيه يفضل من الماهيه ١٥ جنيه ... مفروض

أعيش بيهم أنا ومراقى ... هل ده معقول ...؟؟ الحل الوحيد العمل الإضافى الى باقوم بيه فى الدكان ده .. أنا وواحد نجار صاحبى بتعاون أنا بارسم الأوده وأدق الأويما وأشرف على العمل وأبيع الإنتاج للتاجر الكبير - كما توقعت تماما - والدنيا الى مستحيل تمشى بتلاتين جنيه نقدر تمشيها باللى

ييجى من الدكان ... وما فيش حد دلوقت مش بيعمل كده - الماهيه أصبحت هيه الإضافى والعمل الإضافى هو الأساس .

● معقول حقيقة كل ما قاله فتحى أحمد عبده .. ومعقول أكثر ما قاله عن خريج المدارس الصناعية الذى يعين عادة عن طريق القوى العاملة فى أى مكان وبلا مراعاة لتخصصه الدقيق ... وبذلك لا تستفيد منه الدولة .. وقبل أن ينسى ما درسه وتدرّب عليه يكون قد طار إلى البلاد العربية وتخلو الدولة من الفنيين والحرفيين .

يتساءل فتحى أيضا عن الحكمة فى هذا الوضع المقلوب .. أن نجعل الأولوية فى دخول الكليات بالجامعة لطالب الثانوية العامة الذى درس علوما عامة بينما نضع العراقيين لدخول الهندسة مثلا أمام طالب دبلوم الصناعات التى أمضى ثلاث سنوات يتلقى مبادئ الهندسة فعلا ويتخصص فى فرع دقيق .. ؟؟

المرأة تقتحم عالم الأثاث

على حافة الحارة تعلو ضجة عظيمة تنبعث من بناء كبير هو مصنع الجمعية الإنتاجية لصانعى الأثاث بالقاهرة .

● فور أن انفرج الباب رأيت خلية نخل كما يقولون .. الكل يعمل والأثاث والأخشاب تملأ المكان .. وكعادة المصريين فى احترام التسلسل أخذونى أولا إلى حمدى عبد المجيد مدير المصنع منذ عام ٦٦ قال ..

● المصنع رغم أنه يعمل بكامل طاقته ورغم أنه يبيع فى خمسة معارض بالقاهرة بسعر التكلفة زائد ١٠٪ فقط إلا أنه وحده لا يستطيع أن يسد حاجة السوق فمصر بالذات هى مصدر هام للأثاث بالنسبة أيضا للبلاد العربية بالذات علاوة على أن السعر المحلى للأثاث يرتبط بتغيرات السوق العالمية للأخشاب لأننا نستورد جزءا كبيرا من حاجتنا من الأخشاب وهذه أسعارها فى تصاعد مستمر منذ سنوات .

وبديلا عن مشكلة الأخشاب وجنون أسعار الأثاث حدثنى مدير المصنع عن تجربة جديدة بدأ فى تطبيقها منذ شهر فى مصنعته وهو تشغيله لدفعة من

الفتيات ليعملن كنجارين واستورجيه ومنجدين .. عال وهذا مجال آخر
تفتحه المرأة في هذا العهد السعيد ..

● في قسم دهان الأثاث بالأستر توقفت أمام ميرفت محمد حسنين وهى تنحنى
أمام مائدة مستطيلة تحاول بالدعك المستمر أن تضيف لها المزيد من اللمعان
بعد أن دهنتها بالجمالكة والورنيش .

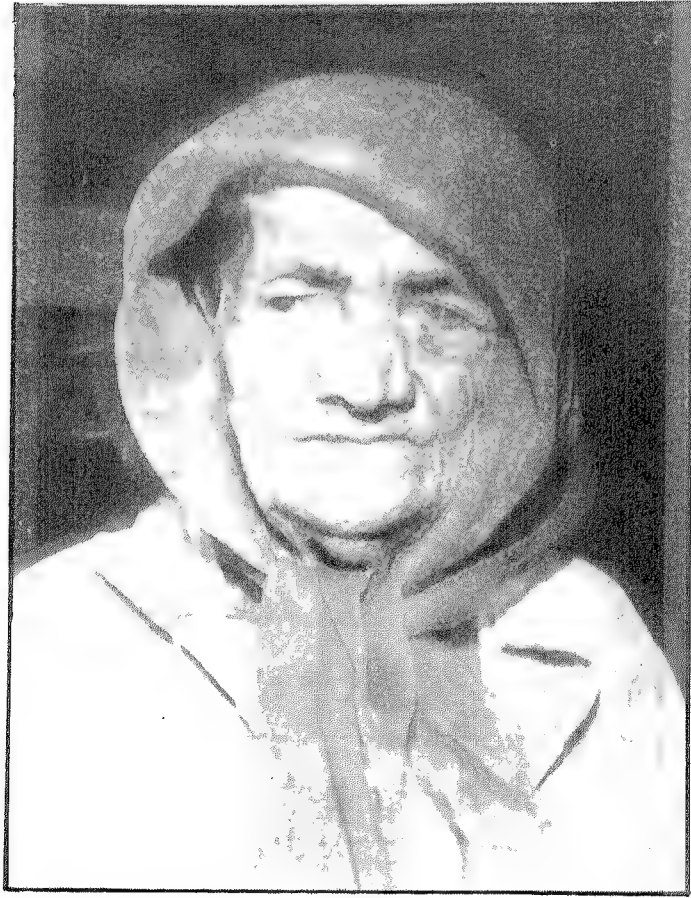
● قالت إنها حصلت على الإعدادية ثم قرأت إعلان المصنع لطلب فتيات
فتقدمت لتساعد والدها الساعى فى مدرسة فى تربية إخوتها الصغار ومازالت
بعد شهر من العمل لا تجد العمل شاقا رغم أنها تأتى من الشرايبة كل صباح
لكن الثلاثين جنيتها الذين قبضتهم فى يدها أول الشهر منذ أيام خففوا عنها
كل العناء ..

الصفرة .. والأصابع الناعمة

● يتدخل الأسطى محمد عبده صالح رئيس الأسترجية فى الحديث فيقول إن
البنات اللاتي التحقن بالقسم منذ شهر ساهمن تماما فى حل مشكلة نقص
الفنيين الذين هاجروا إلى الخارج يبحثون عن الربح السريع وأنه رغم أن
الصفرة التى تحتوى على رمل وزجاج قد لحست أصابع البنات إلا أنهن لم
يشكين أبدا وإنما هو الذى أعفاهن جميعا من مرحلة الصفرة هذه وتركها
للرجال فهن وقبل أى شىء آخر بنات 119...

● فى قسم التنجيد كانت واقفة ممسكة بالشاكوش تشد الشريط على كنبه
كبيرة وتدق بالمسامير وكانت عيناها الصغيرتان تلمعان بالذكاء .. قالوا لى
إن عزه حجازى أشطرنى فى قسم التنجيد .. هى أيضا من شطار حبيها فى
الثانوية العامة فقد حصلت عزه على الشهادة بمجموع ٨٢,٥٪ ورسحها
مجموعها لكلية الطب جامعة الأزهر .

● قالت لى إنها فى انتظار أن تبدأ الدراسة التى تمنىها طيلة حياتها قد اختارت أن
تتأق وقت فراغها وتحصل على القرش من هذا الطريق وقد أحببت كثيرا
عملها الذى تظهر نتيجته بسرعة فمن تحت يديها يخرج الخشب الختام فى
شكل آخر تماما مكسوا بالقماش الجميل ..



حميده بنت محمد حضرت هوجة عراقى

● قالت عزه شيئا آخر جميلا ييشر بأديبة فى ثياب طيب .. قالت إنها تعودت وهى تغطى الخشب بالقماش أن تنسج فى خيالها قصصا حول مصير هذا الأثاث ومن سيجلسون عليه ويستعملونه وإنها تنوى أن تنجد بنفسها أثاث العيادة التى ستفتتحها إن شاء الله بعد سنوات لتمارس فيها عملها كطبيبة أمراض باطنية وستدرس فى نفس الوقت للدكتوراه .

أم محمد تحلم ..

● فى قسم النجارة كانت أم محمد محمد عرباوى واقفة أمام البنك تلصق القشرة على كومودينو صغير وتدق عليها بالشاكوش وبطنها تمتد أمامها تعلن عن الحمل فى منتصف الشهور ..

● قالت إنها تعمل لتساعد عبد الحليم زوجها الذى يعمل طباحا فقد رأت أن ظروفهم المالية تعبانة شويه ولا بد من الاستعداد لاستقبال عبد الحليم الصغير وعندما قرأت الإعلان تقدمت للعمل وأحبته فعلا وتعلمت بسرعة وتعلمت أيضا أن تحلم بأشياء جديدة لم تكن تجرؤ أن تحلم بها من قبل أن تقبض في يديها مبلغ الثلاثين جنيهًا لكنها الآن تجرأت وحلمت بسرير صغير لعبد الحليم الصغير وبشجرة زرع بلاستيك في ركن البيت وحله تيفال من مرتب الشهر القادم لا يلتصق بها الأرز في القاع .

وكله يهون من أجل عيون عبد الحليم الكبير والصغير ومن أجل المزيد من الأحلام ..

الفانتوم ينادى القراء ..

● خرجت من المصنع عائدة إلى الجراج أمام المقام وفي منتصف الحارة صك سمعى صوت ينبعث من ميكرفون ضخمة ينادى بحماس وانفعال .

● الحادثة الفظيعة ... الوليه الى خدت إعدام ... وحبل المشنقة هنا في الصورة حوالين رقبتها .. المعلومات الجباره .. إقرأ وافهم يا جدد ...!!
كان الزحام على أشده حول صاحب الميكرفون والكل يمد يده ليشتري منه النشرة التى يبيعها ... ووجدت نفسى أندفع أنا الأخرى لا شعوريا أشتري نفس النشرة لأعرف حكاية « الوليه الى خدت إعدام » .. ولما خدت إعدام ...؟؟

● وفى أربع ورقات صغيرة كانت حادثة من الأسبوع الماضى منقولة بتفاصيلها وصورها من إحدى الجرائد اليومية ومطبوعة على ورق ردىء فى إحدى المطابع بالمديح .. والناس وأنا منهم قد فتحوها وانكبوا يقرأون بشغف شديد ... واقتربت من موزع النشرة الذى كان يرتدى قبعة قديمة من الجوخ الأسود وينطلون جينز رغم سنه الذى يناهز الستين ..

● قال .. أنا ابراهيم صالح الشهير بالفانتوم .. مافيش حد فى مصر كلها مايعرفنيش .. أنا صاحب الحوادث الجبارة الى بيقرأها الكل ... بعدما اطلع من الشغل كل يوم من جراج النقل العام فى مصر عتيقة أشيل النشرة وأمشى فى الأحياء بالميكرفون أوزعها .. باكسب فى المرة عشرة وعشرين جنيه ..

- النشرة دى فيها الحوادث الجبارة .. المطبعة تطبعها وتبيعتها لى بستة ملين وأنا أبيعها بقرشين ولما تخلص أروح أجيب غيرها .
- إمبارح وزعت ٦ آلاف فى الدرب الأحمر والباطلية ومصر عتيقه والشرابية وفناتيس الجاز .
- أنا عندى ٦٢ سنه ... وعندى واحده ست حلوه .. وصغيره .. شوف صورتها ... « أخرج الفانتوم صورة شابة حلوه صغيرة السن متألفة » .. أبديت ملاحظة عن فارق السن الكبير بينهما فقال ..
- وماله .. مانا كان باخد ماهيه حلوه .. درجة ثالثة ماهيه عميد فى الجيش ٩٣ جنيه زائد إيواد النشرة .. وبعد المعاش حاشترى عربية وافتح ورشه ..
- أنا بينى وبينك أحب الهدمه النضيصة .. والأكلة الحلوه .. والنومه النضيصة .. والراحه الكاملة .. فيه ست تكره ده كله ..؟؟
- حاتلاقى إيه عند الشباب غير الفقر والشقا والعيشة اللى على القدر ..
- عن إذنك بقى ابيع باقى النشرة ..
- وانطلق الفانتوم فى طريقه كالصاروخ ويده ميكروفون يصيح فيه عن الوليه اللى خدت إعدام وحبل المشنقة لى الصورة على رقبتها ..
- وأواصل الخطى نحو بداية الشارع حيث المسجد أدخل لأقرأ الفاتحة ... ويغيب عنى داخل المقام الهادىء الوديع كل صخب الدنيا والحارة التى تركتها ورأى ... وأقرأ فى لوح معلق على الحائط نسب السيدة فاطمة النبوية الشريف الذى ينتهى إلى سيد الخلق .. النبى الكريم .. فأهمس صادقة .. خاشعة الشفاعة ... الشفاعة يارسول الله .. الشفاعة يا آل بيت رسول الله ...

.....

درب المهاييل

درب المناصره

درب المهاييل

حارة تضم مواطنين عقلاء.. وصالحين

أيضا ..

عام ١٩٥٩ نال المخرج توفيق صالح جائزة عن إخراجهِ لفيلم درب المهايل .. ومثلت برلنتى عبد الحميد فى الفيلم دور فتاة الطبقة الفقيرة التى تحاول استبدال طبقته وفى سبيل ذلك لا تتورع عن أن تنحرف وتسقط مرات ومرات وتشتري الانتاء للطبقة الأعلى بجسدها وليس بعقلها ..

وكتب نجيب محفوظ قصة هذا الفيلم الذى ربح فيه البطل مبلغا كبيرا فى اليانصيب وما فعلت به وبالحيطين به النقود ..

وقد الكاتب الكبير فى الفيلم نموذجا للجهل وكيف يؤدى إلى الشقاء الدائم حتى ولو أمسك الإنسان بمفتاح السعر فى يديه فيظل الفيلم لم يستطع الاستفادة من الفرصة التى جاءت من السماء فكانت النهاية التى كانت غريبة على السينما المصرية فى ذلك الحين فى لقطة مثيرة ظهرت فيها المعزة وهى تلتهم نقود اليانصيب وتترك البطل يعود فقيرا كما كان ..

كثيرون فى ذلك الوقت لم يعرفوا أن لاسم الفيلم صلة بحارة حقيقية لها وجود فعلى وتحمل نفس الاسم .

معظم الناس تصورا أن الاسم من خيال المؤلف أو المخرج فمن يتصور ظلما أكثر من ذلك .. أن يطلق مثل هذا الاسم على مكان يضم أناس كلهم عقلاء ومواطنين صالحين .. لكن الظلم التركي الأصل الذى سمى فعلا حارة من حالات القاهرة بهذا الاسم العجيب ..

- بموازة شارع عبدالعزيز قريبا من العتبة الخضراء تقع حارة درب المهايل ..
- هى حارة صغيرة لا يتجاوز طولها المئتى متر وعرضها الأربعة أمتار وتمتلىء بكل ما يخطر على البال من دكاكين للحرف الصغيرة .. حتى ترزى البدلة الفراك وجد له مكانا فى درب المهايل ..

● وهى أيضا حارة سد تلم نفسها تماما من مولد الشارع الكبير .. فهل هذا من العقل أو من الجنون ..

● تتميز حارة درب المهايل بشيئين .. أولهما الحركة الدائبة التى لا تهدأ مع ما يصاحبها من أصوات والثانى القرب الواضح فى العلاقات .. فعلى طول الحارة الناس يجلسون طوال الوقت أمام البيوت وفى كل أوقات النهار ليتجاذبوا أطراف الحديث . يتشاجرون بعض الوقت .. ويتشائمون بعض الوقت ويضربون أولادهم معظم الوقت .. ويعودون فى النهاية إلى تجاذب أطراف الحديث ..

أول ما قابلنى فى مدخل الحارة كان دكان صغير معتم والشمس فى وسط السماء .. بداخل الدكان أسرة كثيرة من الصاج ومن الحديد والنحاس كلها مسندة إلى الحيطان وعلى باب الدكان جلس شيخان يتناومان .. ولابد من إيقاظهما فقد وجب السؤال .. وتكلم أحدهما سيد محمد صاحب الدكان ..
● الدكانة مهمته طلاء تلك الأسرة بما يعيد إليها الحياة .. منذ ثلاثين عاما وعم سيد الذى يقترب من الستين يقوم بالنفخ فى صورة الأسرة الصاج والحديد والنحاس المحتاجة إلى إصلاح وظلاء ليختفى الصدا تحت الدهان ويأخذ فى مقابل ذلك جنيها ..

● يأسف عم سيد لأن أيام العز فى الدنيا قد قطعت تذكرة ذهاب بلا إياب .. فمنذ ثلاثين عاما كان يطلى أحسن سرير بربع جنيه وكان فيه البركة طارحة .. الآن زاد هذا المبلغ ١٦ ضعفا ويكاد عم سيد أن يجوع .. وأكبر الأولاد أحمد قد تخرج وأخذ « دبلون » الصنايع لكنه مازال فى البيت لم يعمل بعد ومصروفه مازال من أبيه ..

● تركت عم محمد وقد بدأ فى النوم ثانية أمام الدكان والنوم أحيانا قد يكون علاج ..

يا طول عذابى
والصبر قليل

درب المهايل حارة صوتها عال له إيقاع غريب ..

وفي لحظات تعلو الضجة في الحارة حتى تكاد تصم الآذان ثم تنخفض الأصوات في لحظات أخرى حتى تكاد تصبح هي والهمس سواء .. لكن هناك أصواتا ثابتة المنسوب لا ترتفع ولا تنخفض هي أصوات ماكينات الخياطة ودق الحديد وشاكوش النجار ..

● خالط هذه الأصوات في اللحظة التي خرجت من الدكان صوت بكاء .. بكاء عال فيه كل الحزن والقهر .. بكاء يصدر عن حنايا قلب جريج .. تلفتت حولى أبحث عن مصدر الصوت فوجدت ساعى البريد ببذلته وحقيقته الكبيرة ينحرف خارج من إحدى العطفات مخلفا وراءه سيدة تجلس على دكة خشبية وبجوارها عدة الشاي والأكواب واقتربت لأجدها دامعة العينية كسيرة العشمات تحمل على أكتافها ما يزيد على الخمسين عاما ..

● رتيبة على حسن قهوجية حارة درب المهايل تعمل قهوجية بعد أن توفى زوجها لتربى الأولاد لكن ما يحز في قلبها ويؤرق ليالها هو « حمدى » .

● همست بصوت مبسوح .. عشر سنين يا حمدى وقلبك حجر .. عشر سنين وأملك بتتقل فى جمر النار .. عشر سنين ونا باستنى منك كلمة فى كل يوم من دى السنين .. كلمة واحدة منك يا حمدى تحينى ترد روحى لجسمى العليل .. لكن مافيش فايدة كل يوم فى نفس الميعاد يهل عليا البوسطجى وأسأله كل يوم نفس السؤال ومافيش فايدة .

● وعشر سنين ونا أبكى كل يوم فى نفس الميعاد واعذرونى يا ناس ده الضنا غالى .. وحمدى فى استراليا من عشر سنين وكل الى راح معاه ييسألوا علما أهاليهم بالجوابات .. آخر جواب بعته فى موت أبوه بيعزىنى فيه .. وبعدها ما افتكرش يسأل على المرضعة الى رضعته ولو بجواب .. أعرف أخبارك من الغرب يا حمدى ليه .. كلمة منك يا حمدى ترد روحى وتمسح دموعى .. يا طول عذابى .. والصبر قليل ..

● كان الناس من حول أم حمدى يربتون عليها بألية شديدة وفتور أشد فقد

تعودا هذا المنظر منذ ثلاثية آلاف وستائة وخمسين صباح وحمدى لا يأتى
ولا يبعث بخطاب ..

هتفت جارة من الجارات .. إنسيه ياختى إنسيه .. !! نظرت أم حمدى
إلى السماء وهمست بصوت خفيض طب بس ازاي ..؟؟ وتدفقت مرة أخرى
الدموع ..

الحياة على رصيف

بعد أم حمدى توقفت أمام عم بلال صانع الوزه والأرنب والحصان فى
حارة درب المهايل الوزه والأرنب .. والحصان من الخشب يصنعها عم بلال
ويدهنها بألوان كألوان أحلام الأطفال .. هل رأى أحد منا نحن الكبار أبدا
حصانا بلون السماء والعيون حمراء ..؟؟ وأرنبا بلون عصير البرتقال .. وبطة
كلها خضراء ..؟؟

من منا لم يعشق يوما هذه الألوان .. ومن منا لا يتمنى أن يعود
الزمان ..؟؟

● عم بلال يرسم الضحكة على وجوه الأطفال بهذه اللعبة التى يبيعها بالدسته
لحال الأطفال بسعر الدسته جنية ونصف ويكسف فى كل دسته نصف
جنيه .. لكنه لا يستطيع أن يضحك أطفاله الأربعة وأكبرهم عمره سبع
سنين فلا يستطيع أربعة أن يضحكوا على الإطلاق وهم يبيتون منذ عامين
كل ليلة على الرصيف ..

● حسبته فى البداية يقول على الرصيف مجازا لكنه أكد لى أنه على الرصيف
فعلا ومنذ عامين حقيقة لا مجازا وأنه ينام فى الشارع بعد أن انهار بيته وحوله
أثاث بيته دون سائر إلا ملاءة تحيط بالمكان .. وهذا الرصيف هو بالتحديد
الرصيف الأيمن من شارع عبادة الأنصارى بالعباسية وبالتحديد أمام رقم
٤٥ ..

● لا يعرف عم بلال أن هذا العام هو العام الدولى للطفل .. قال .. ماخدش
بالى من الحاجات دى آخد بالى بس من أخبار مساكن الإيواء والمساكن

الجديدة عشان ديه هيه الى فيها الفائدة .. لكن هو العام ده عام أى طفل بالضبط .. ؟ أكيد طفل من بلاد بره عشان بيطلعوا فى الصور كويسين ..
● رفض عم بلال أن يدعنا نصور حياة أسرته على الرصيف وانحنى على الخشب من جديد يهذب ذيل الحصان ويلونه بلون أحلام الأطفال ..

الترزى الوحيد

على اليمين فى الحارة دكان عليه لافتة كبيرة مكتوب عليه بخط كبير ..
فرج محمد الشامى الترزى الوحيد .. ترزى الفراك ..

على الفور كانت خطواتى تقودنى إلى داخل الدكان .: فى الصدارة تماما معلقة بذلة فراك سوداء كالتى نراها فى الأفلام لكنها أكل عليها الدهر وشرب حتى بليت من كل مكان ..

● عم فرج الشامى واقف بجوارها يشير إليها بمسطرة طويلة بفخر شديد فهو الوحيد كما قال الذى يملك ويقدر على صنع هذه البدلة المعقدة التى كانت تستعمل فى السهرات الرسمية أيام زمان والتى لا يستطيع كما قال أن يصنعها أى من ترزية هذه الأيام ..

● يصنع عم فرج أيضا وبكل فخر روب المحاماة والبدلة الردنجوث السوداء ..
● لكن فین أيام زمان .. ؟؟ لم يعد عم فراج يصنع أيا من الأردية الثلاثية إلا كل سنين .. فروب المحاماه لم يعد أى من السادة المحامين يقدر على تكاليفه ولم يعد أحد يعنى بأن يرتديه مع الطربوش الأحمر الجميل .. المحامى النهاردة بيأجر الروب فى أى محكمة بربع جنيه .. لكنه ورغم ذلك لا يتنازل أبدا إذا ما جاء الزمان بأحد المحامين يطلب صنع روب عن أن يتقاضى فيه ستين جنيهه كاملة .. أمال .. الصنعة لها أصول ..

● أما الفراك والردنجوث فلا يتذكرهما أحد فى هذه الأيام غير ممثل يتقمص دورا فى فيلم يعود إلى القديم ويريد أن يسبك الدور .. مع أنها كانت رداء العريس الرسمى فى أفراح العشرينات وحتى الأربعينات كما كان الردنجوث لازما لكل الوزراء ولكل عظيم يذهب فى العيد أيام الملك إلى قصر عابدين ليكتب إسمه فى سجل الشريفات ..

- كان عمد الأرياف الذين يأتون خصيصا ليدفعوا المعلوم طمعا في رتبة البكوية يجردون ولعا في ارتداء الردينجوث والتقاط الصور العديدة بها .
 - عم فرج الآن يعمل نصف الأسبوع في عمل البذل العادية للرجال والنصف الآخر في تفصيل فساتين النساء ويتمنى بشدة لو أن حارة درب المهايل تقيم ناديا أو مركزا للشباب يضم بين جنباته هؤلاء الأولاد الأبالسة المهايل الذين يملأون الشارع بالصراخ ..
- وما زالت الحارة تحوى الكثير من الدكاكين والكثير من الصراخ ..

* * *

لماذا .. درب المهايل .. ؟

قصة الإسم الغريب للحارة العاقلة جدا رواها لى الكثيرون وكلهم اتفقوا على نفس القصة وإن اختلف الأسلوب .. ولنسمعها بأسلوب عم فرج الشامى ترزى البدلة الفراك. فقد كان أطرف من رواها بثقة شديدة من صحتها ومن الأسماء ..

- بأسلوبه الخاص قال عم فرج .. المنطقة دى كان زمان إسمها « ترب المناصرة » - هذا حقيقى ووارد فى كتب التاريخ - وكان على مصر ملك تركى من بتوع الكراييج وكان الباشوات فى البلد أكبر م اهم ع القلب ..
- تيجى ساعة العصرية من هنا يخرج اتنين من الباشوات راتب باشا وشريف باشا يتمشوا .. يقابلوا بعض .. شريف باشا يقول لراتب باشا رايح فين ..؟ يقوله رايح أشوف الناس اللى بتضرب الدف فى ترب المناصرة دول بيدعوا علينا على ضرب الدفوف - كانوا يقيمون حلقات ذكر عصر كل يوم فى المكان - يقوم شريف باشا يقوله سييك منهم يا شيخ دول مهايل .. بس يا ستى طلعت على الحطة إسم درب المهايل ..

- على فكرة الحطة دى مشهورة فى الفن كان .. طلع منها محمد عبدالوهاب ومحمد رشدى والأستاذة أمنية رزق ويوسف بيه وهبه .. كان بيعجى نعقد هنا على قهوة التجارة .. والأستاذ محمد عبدالوهاب لوخ يسمعنى دلوقت يقوم هو يعرف إنه كان بيشتغل عند أسطى أحمد شلبى أسطى الأفراح ..



وفى درب المهايل سبع صنایع .. والبخت عال العال

السّمك الكبير .. يأكل الصغير

عم فرج ليس الترزى الوحيد من النوع الخاص الذى فى الحارة فبعده
بعده بيوت دكان آخر لمحمد توفيق ابراهيم ترزى بدلة كل الناس .. لكن محمد
توفيق يعمل لحساب الترزى الكبار فى قصر النيل وعبدالخالق ثروت وشارع
شريف ..

● يصنع محمد توفيق البدلة كاملة للترزى الكبير بمبلغ ١٥ جنيه ليقبض فيها
الترزى الكبير من خمسين إلى ثمانين جنيتها .. كنت أظن أن هذه اللعبة من
الترزى الكبار مقصورة فقط على البنطلون لكنه أوضح لى أن هناك
تخصصات .. فهناك ترزى صغار فى الحواري يصنعون فقط البنطلون ..
وهناك آخرون يصنعون البدلة كاملة ومنهم عم توفيق الذى يأتيه القماش
ومعه مقاس الزبون فيقص القماش ويرسله إلى الترزى الكبير ليقبس الزبون
أول بروفة ثم تعود إليه ثانية فيضبط البدلة تماما لتشر الترزى الكبير فى البروفة
السكوندو ثم يتم عم توفيق تشطيها ويذهب بها جاهزة تمام للأسطى الكبير
الذى لا يتورع عن تأنيبه بشدة إذا ما اكتشف فيها أى تقصير فيجب على
ترزى حارة درب المهايل أن يحلل القرش الذى يقبضه ويا ناس عيب خلى
عندكم ضمير ..

● يعلن عم توفيق صراحة أن لا فكاك أبدا من هذا الوضع العجيب .. وتحليله
مضبوط .. فالترزى الكبير يضمن للصغير موردا ثابتا لا يتأثر بتقلبات
السوق ولا يدعه فى انتظار الزبون .. فعلى الكبير بكل إمكانياته جذب
الزبون وتقديم الشغل إلى الصغير .. ولك شئ وله ثمن وعلى الصغير أن
يدفع من جهده وعرقه ثمن انزواءه فى حارة صغيرة واسمها أيضا درب
المهايل ..

● يذكر عم توفيق بكل مرارة أنه ظل يتعامل منذ عام ٦٣ مع ترزى كبير فى
شارع شريف ثم طلب منه هذه الأيام أن يزيد من أجر البنطلون مبلغ خمسة
عشرة قرشا فقط فقال له بكل هدوء لا واتفصل غير موجود وانت ما
تنفعنيش ..!!

- حقيقة البحر فعلا ملء بالسماك الصغير الذى يأتى طواعية واختيار حتى فم السمك الكبير المفتوح على الدوام ..

في الحظيرة آلاف الجنيات

- أصل الآن إلى نهاية الحارة السد وقبل أن تنتهى وتنسد فيها عدة أشياء ..
فنهاية الحارة تضم زريبة للمعيز هى التى ظهرت فى فيلم درب المهايل وفيها مصنع صغير للمواسير وفيها بيت قديم وقع نصفه ومازلا نصفه الآخر يتحامل على نفسه يتحين وقتا مناسباً للسقوط ..

- إلى الزريبة الشهيرة دخلت أولاً .. سقفها منخفض لكنها متسعة المساحة . والمعيز قد اختفت منها وظهرت مكانها موبليا على أحدث وأفخم طراز ..
● بجوارها قبل أن تزين الفاترينات وحجرات الشقق الحديثة التى لا أدرى كيف تتسع لمثل هذا الاثاث الضخم الكبير ..

- سيد إمام إستورجى يهوى الأثاث من حالة كونه خشباً خاماً إلى نيل رضا التاجر والزبون ويبدو راضياً تماماً عن وجوده السعيد فى زريبة درب المهايل ..

- يقول .. ضربة حظ وحياتك يا مدام إنى ألاق مكان متسع زى ده وبخمسة جنيه وستين قرش فى الشهر .. فى الشتاء دفا وفى الصيف طراوة ..
● عم سيد صريح للغاية .. يقول إنه يدهن الغرف استر بمستويين درجة أولى .. ودرجة ثانية ..

- درجة أولى للزبون الى يطلب شغل نضيف ويدفع أيضاً ويطلب استلام الحجرة كالعروسة فيضع له المواد كاملة دون نقصان ويتكلف هذا الدهان المعتبر ٥٠ جنيه .. ودرجة ثانية هى لشغل السوق الذى يطلبه منه تاجر الأثاث الذى يرسل له الغرف بالجملة لدهانها .. وهذه الدرجة ينقص منها نسبة من الجمالكة وبقية المواد وتقل عشرة جنيهات عن دهان درجة أولى وماليش دعوة هو الى عاوز كده .. وأدى شغل السوق ..

الحياة على حافة الخطر

- أتجه الآن يساراً إلى مدخل البيت الذى مازال لم يقرر بعد هل يظل قائماً أم

ينهار فأدخله بحذر شديد .. وفي الفناء تقابلنى إحدى الساكنات فتاة حلوة في الرابعة والعشرين قالت لى إنها سامية صالح دخلت البيت وهى عروس ثم .. وفى يوم من الأيام إنهار البيت الذى يجاوره تماما ووقع على شقتها وعلى شقة جارتها جدار بأكمله .. وخرج السكان جميعا إلى أرض الحارة وهزة المفاجأة تسلبهم جميعا كل تفكير .. وانتظروا أياما .. وأياما .. ثم لم يحدث شيء آخر .. لا البيت انهار .. ولا أحد حذرهم من البقاء .. ولا أحد عاين الانهيار ..

● تشاورا جميعا فيما بينهما وحكموا بالعقل الذى قال لهم أن الحياة نصيب وأن لكل أجل كتاب فليعودا جميعا إلى البيت وبينهم ميثاق غير مكتوب أن يبتلوا الحركات العنيفة « بتاعة زمان » فلا تنفيض للأثاث ولا رزع للأبواب .. ولا خناقات عنيفة بين الأزواج .. ولا ضرب للأولاد وليمشوا على أطراف أصابعهم ويتحركوا فى رشاقة كراقصى الباليه حتى يظل الطابق مستور ..

● تقول سامية .. والنبي باحلم كثير إن البيت وقع عليا وعلى الأولاد وأصحى مفزوعة من النوم وإذا حد خبط على شوييه على الجيران تحصل خناقات .. !!

وداعا درب المهابيل

أمر عائدة إلى مدخل الحارة فى لحظات تعالى فيها الصراخ بسبب لا أدريه والناس مازالوا أمام البيوت إنهم الآن لا يتجاذبون أطراف الحديث وإنما يتعاركون تحت اللافتة التى تحمل إسم حارتهم درب المهابيل .

.....
.....
.....
.....
.....

ابن طولون



هنا عاش ابن خلدون .. ثم الدكتور
أندرسون وأخيرا .. المعلم بسكال ..

في هذا الشارع والميدان بمنطقة الخضيرى بالسيدة زينب أكثر من مبنى ..
ومعنى عظيمين ..

فأما المباني فثلاثة مبان .. كل منها أعظم من الآخر ..
وأما المعاني فكثيرة .. فهذا الشارع .. شارع ابن طولون حديثا أو حارة
« بحر الوطاويط » قديما عاشت فيه منذ مئات السنين وحتى أربعين عاما مضت
معاني العظمة .. والعدل .. والبر .. والوفاء ..
أكثر من شخصية عظيمة شهدها شارع ابن طولون وشهد عليها إبتداء
من ابن خلدون فيلسوف العرب العظيم .. وانتهاء بمستر جاير أندرسون
الإنجليزى المولد .. المصرى القلب .. مرورا بأحمد بن طولون والى مصر
العظيم ..

* * *

تغيرت المعالم كثيرا ما فى هذا شك لكنها لم تنمحى تماما من المكان ..
فأهمها مازال بعد قائما يتحدى الزمان ..
على رأس شارع وميدان ابن طولون تقع مدرسة وجامع الأمير سيف الدين
ضرغتمش الناصرى أمير المماليك البحرية التى بناها عام ٧٥٧ هجرية
وخصصها للفقهاء الأحناف .. ورتب بها دورسا للحديث ..
كنت مشوقة لأن أرى هذه المدرسة التى تحمل عقب التاريخ البعيد ..
والتي ألقى فيها دروسه ذات يوم منذ ستمائة عام المفكر العربى العظيم عبدالرحمن
بن خلدون ..

ففى عام ٧٩١ هجرية هبط ابن خلدون العظيم أرض مصر فاحتفى به
السلطان الظاهر برقوق وأكرم وفادته .. ولما خلا كرسي الحديث بمدرسة
ضرغتمش بجوار الجامع الطولونى وكانت مدرسة عامرة ذات شأن فى الفقه

والدين ولاء السلطان برقوق كرسى الحديث بها .. فصار يلقي دروسه والناس
تفد إليه حتى يضيق بهم المكان ..

كنت أدور بعينى فى أرجاء المسجد الرحيب الذى انقطعت منه الدروس
الآن وأتخيل فى كل ركن منه عمامة ابن خلدون والفكر ينثال من تحتها سلاسل
من ذهب .. ورحم الله الأمير سيف الدين صرغتمش الناصرى الذى بنى
جامعه فأحسن بناءه فقد كانت أرضية البناء فقط شيئا يستحب النظر إليه من
جمال الرخام .. أما القبة فهى أكثر من رائعة بارتفاعها الشاوخ وحسن بنائها
ونقوشها .. وإيوان جميل وسط صحن المسجد المكشوف للسماء تحيط به
البواكى المسقوفة بالخشب المنقوش بنقوش رائعة .. !!

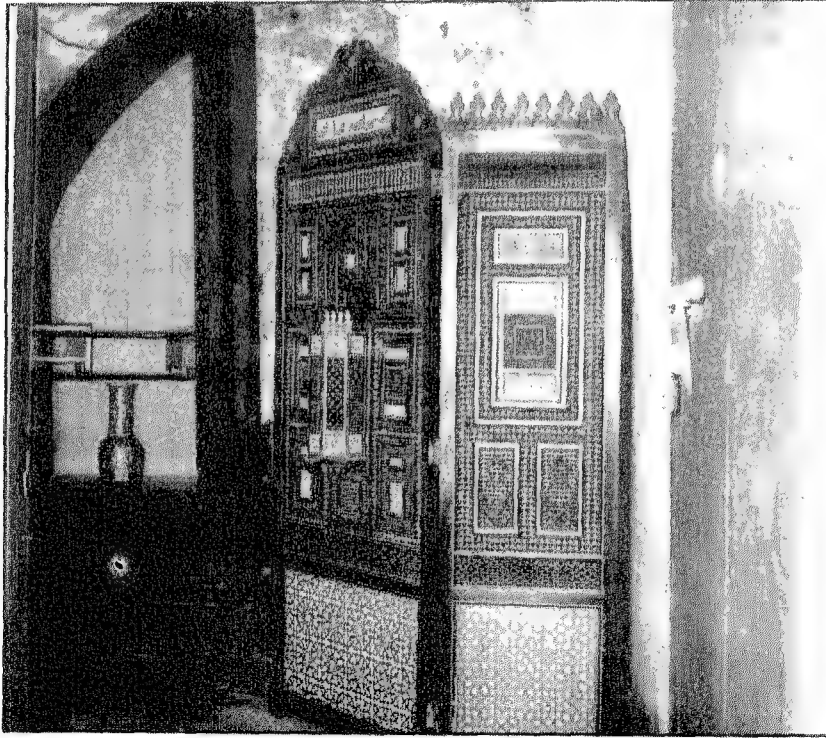
كان الوقت قبل الظهر والمسجد خال من أى إنسان عدا خدام المسجد
ومستول العهدة الذى أتى ورأى وبحس المصرى المرهف الذى لم يفقده أبدا عبر
عصور التاريخ قال لى محمد أحمد عبدالرحيم ..

● أنا عايزك تكتبى حاجة مهمة يا مدام .. معلوماً البسيطة أوى بتقول إن
المكان ده كان مدرسة أول ما بناه صاحبه .. عايزك تسأل وزارة
الأوقاف .. ليه الحال ما يرجعش زى زمان .. وتبقى هنا حلقات درس
دينى ويعمر المكان بالعلماء .. بدل الشباب ما ياخذ معلوماته فى الدين من
ناس منحرفين .. ياخذها من المكان السليم .. من الجامع .. !!
همست فى سرى .. يسلم بقك يا عبدالرحيم وسلام عليك أيها الأمير
صرغتمش الناصرى ..

سلام عليك فى الخالدين عبدالرحمن بن خلدون وإلى أحمد بن طولون
السلام ..

مسجد بن طولون

فوق جبل يشكر بنى أحمد بن طولون مسجده الكبير عام ٢٦٣ هجرية
وكان ابن طولون هو والى مصر منذ عام ٢٥٤ إلى عام ٢٧٠ هجرية ..
ولبناء الجامع قصة .. ففى يوم خرج ابن طولون للصيد مع أصحابه
فغاصت قوائم فرسه فى الرمل فى موضع ما .. فأمر بكشف هذا الموضع



كنوز الفن الاسلامى فى متحف بيت الكريدليه

فانكشف الرمل عن مال بلغ ألف .. ألف دينار أنفقها جميعا فى أبواب البر والصدقات وبنى منها مسجده على جبل يشكر فأنفق فى بنائه مائة وعشرين ألف دينار ..

وأما جبل يشكر الذى بنى فوقه الجامع فله هو الآخر قصة .. فهو مكان مشهور بأجابة الدعاء .. وقيل أن النبى موسى عليه السلام قد ناجى عليه ربه بكلمات .. ثم سمي ييشكر نسبة إلى قبيلة من قبائل العرب اختصت عند فتح مصر بهذا الجبل فعرفت بجبل يشكر لذلك وكان هذا الجبل يشرف على النيل وليس بينه وبين النيل شئ ..

أصعد الآن إلى الجبل لأصل إلى باب مسجد أحمد بن طولون .. حقيقة أن الجبل ليس عاليا لكنه جبل على أى حال .. وأصعد بمخاء السور العالى العظيم الذى أحاط به ابن طولون مسجده الكبير ..

السور الهائل مازال ممتدا إلى بعيد وأمر على أبواب ضخمة هائلة يصل ارتفاعها إلى عشرة أمتار والسور لم ينته بعد والأبواب مغلقة جميعها ..
أواصل الصعود لأصل أخيرا إلى باب مفتوح ومن وراء الباب فناء كبير وسور آخر به سلم وعليه باب مفتوح .. كانت مجموعة من السياح تتزاحم للدخول منه في هذه اللحظة بالذات .. ووراء السياح دخلت لأشاهد أكبر مساحة مسجد شاهدتها في حياتي بعد الكعبة المشرفة بمكة المكرمة ..
مساحة شاسعة تمتد فسيحة مترامية وحولها سور عظيم وأبواب هائلة .. تخيلت لو أن كل هذا المكان قد امتلأ بالمؤمنين الخاشعين .. الساجدين في كل آونة للصلاة لتغير ولا شك شكل الحياة ..
من داخل المسجد حيث المنبر الدقيق الصنع المتميز الشكل كان صوت المرشدة يأتي من بعيد يشرح بالفرنسية للسياح من هو أحمد بن طولون ..
كان المسجد يتكلم عن نفسه دون حاجة إلى شرح لإنسان .. وكان البناء الشاغل الضخم يبعث برسالة واحدة إلى كل السياح وفي عيونهم المبهورة كان واضحا أن الرسالة التي تقول .. أنا عظيم .. ومن أنشأني عظيم قد بلغتهم ..
أخذت طريقى أقطع المساحة الشاسعة إلى باب الخروج وعند الباب .. لحق بى سمير السيد إمام .. خادم مسجد ابن طولون يرجو أن أكتب كلمتين عن باب فى أقصى المسجد تأبى هيئة الآثار إلا أن تتركه مفتوحا على شارع الخضيرى ومنه يتسلل الصبية الصغار إلى حيث مجموعات السياح فيضايقونهم بالفعل والكلام .. وفى بعض الأحيان يخطفون حقائبهم ويولوا هارين ..
أفسدت على هذه الشكوى روعة انبهارى بالآثر العظيم ..
لكنى .. اللهم قد أبلغت هيئة الآثار .. وشرطة الآثار .. اللهم فاشهد .. !!

فليبق باب واحد فقط مفتوحا ليؤدى إلى المسجد وليقفل أى منفذ آخر فما يحدث من خلال هذا الباب الذى يطل على خرابة وخصوصا بالليل يحل بقداسة المكان كما أُلح خادم المسجد الكبير .. !! ..



جيران أحمد بن طولون ... الفن .. والجمال

بيت الكريدليه

في الفناء الضخم الذى يحيط بمسجد أحمد بن طولون لفتت نظرى لافتة
على شكل سهم يشير إلى اليمين وعليها مكتوب بالعربية والإنجليزية « إلى متحف
جاير أندرسون » !!.. ..

تعجبت للإسم الأجنبى فى ساحة المسجد الإسلامى وتبعت اتجاه السهم
حتى باب صغير صعدت إليه درجتى سلم صغير ثم عبرته لأجد نفسى قد
انتقلت إلى عالم آخر تماماً أتى فجأة من الزمن البعيد ..

إنغلق الباب من خلفى بصوت مسموع ووجدت نفسى تماماً الآن فى
عصر المماليك .. وما قبل المماليك !!.. ..

أنا الآن فى بيت كبير ليس فقط للعز فيه مكان وإنما هو العز نفسه
والجمال قد تجسدا فى أبهى صورة فى هذا البيت الرائع المهيّب ..

فى الفناء فسقية من الرخام الجميل والنبات الأخضر يحيط بها من كل جانب والأبواب التى تحيط بالبناء كأنها الدانتيل المنمنمة لكن .. من الخشب الثمين .. وأرفع رأسى إلى أعلى لتخايلنى أضواء وألوان من رواد المشرييات تتم عن أثاث ثمين ..

وخرج من إحدى الغرف فجأة رجل عبرى الثياب جعلنى مرآه أفيق من تأملى لكل هذا الجمال .. وتقدمت منه لأعرف أنه المدير المسئول عن كل هذا الجمال ..

❶ وقال محمد يسرى سرور مدير متحف جاير أندرسون أن البيت اسمه « بيت الكريدليه » وهو عبارة عن بيتين تصل بينهما قنطرة أو « ساباط » ويضم ٣٦١٣ قطعة أثرية إسلامية وفارسية جمعها على مدى عشرين عاما « جاير أندرسون » ساكن البيت والذي تركه بما فيه عام ١٩٤١ هدية منه لمصر التى أحبها كثيرا .. وعشقها كثيرا ..

والبيتان يضمان ثلاثين قاعة وغرفة ليس فيهم سنتيمتر واحد لا يضم تحفة ثمينة رائعة لا تقدر الآن بمال .. !!

صلى جمالك ..

تقدمنى سيد غنيم معاون المتحف ليطوف بى فى أرجاء بيت الكريدليه .. أو متحف جاير أندرسون صديق مصر .. والمصريين .. واعذرونى إن لم تسعبنى الكلمات .. فالجمال البالغ أحيانا روعة صاعقة تذوب معها الكلمات ..

وعن ماذا أحكى ؟.. وكيف أقول ..؟؟

هل أحكى عن « المقعد الصيفى » المفروش كله بأبسطة الحرير النادر الثمين ..؟؟

أم عن « المقعد الشتوى » المطعم كل مكان فيه بالصدف وسن العاج ..؟؟

أم عن المقاعد المطعمة بقطع الزجاج الملون والصدف الثمين ..؟؟
أم عن غرف النوم الفارسية ..؟؟ أم القاعة البيزنطية ..؟؟ أم عن غرفة

النوم الدمشقية المزينة جدرانها بآيات شعر الخيام وأى نواس مكتوبة بتبر
الذهب اللامع الوضىء ..؟؟

أم عن قاعة الحريم .. وبها غرفة مسحورة ظاهر بابها دولاب خداع يدور
إلى اليمين فيكشف عن حجرة كاملة بالمشربيات .. من يجلس فيها يرى من
بخارجها وهو لا يبين ..؟؟

أم عن قباقيب الحريم من خشب الورد المطعم بالصدف والعاج ..؟؟
أم عن الشكومية « صندوق مجوهرات النساء » البديعة الصنع التى لم
أستطع أن أمنع نفسى من لمسها فإذا الغطاء يزينه بيت شعر مرصعة حروفه
بالأحجار يقول :

صوني جمالك عنا إننا بشر

من التراب وهذا الحسن ربانى

ثلاثون قاعة طفت بها فدارت رأسى من الجمال والروعة والحسن وبهاء
كل شبر فى هذا البيت الرائع البناء .. وترحمت فى الدقيقة الواحدة عشرات
المرات على جابر أندرسون أينما كان !؟..

وهبطت أخيرا مقطوعة الأنفاس من الانبهار إلى حيث الفناء وعلى الباب
الخارجى قرأت نبذة مكتوبة عن جابر أندرسون تقول :

عندما أنهى أندرسون دراسته للطب فى إنجلترا عين بالقسم الطبى للجيش
الإنجليزى عام ١٩٠٤ ثم انتقل لخدمة الجيش المصرى سنة ١٩٠٧ ووصل إلى
رتبة عميد عام ١٩٢٠ ثم أحيل إلى المعاش فاشتغل لمدة وجيزة سكرتيرا شرقيا
بالسفارة البريطانية ثم اعتزل العمل نهائيا عام ١٩٢٤ ..

إلا أنه استمر يقيم فى القاهرة حيث تابع دراسة التاريخ المصرى وغيره من
الدراسات الشرقية بصفة عامة مكونا فى الوقت نفسه مجموعة نفيسة من
الأثاث والحزف والأبسطة وجميع ما يمثل الآثار العربية بالقاهرة وفى سنة ٣٥
حصل على تصريح من لجنة حفظ الآثار العربية بالقاهرة بسكنى بيت الكريديله
واعدا أن يؤثته بمجموعته الأثرية وأن تصبخ هذه المجموعة ملكا للأمة المصرية

عند وفاته أو مغادرته البلاد بصفة مستديمة مشترطا ازاء ذلك أن تظل التحف في نفس البيت وأن يحول المنزل إلى متحف عام ..

وفي مايو سنة ١٩٤٢ اضطره اعتلال صحته إلى السفر إلى إنجلترا فتسلمت الحكومة المصرية مجموعته الأثرية التي جمعها في أكثر من عشرين عاما ..

هذا عن أندرسون نفسه .. فماذا عن البيتين اللذين يطلق عليهما إسم بيت الكريديليه ..؟؟

يتألف هذا البيت من بيتين هما بيت محمد بن الحاج سالم بن الحاج حلجام الجزائر الذي أنشأه سنة ١٠٤١ هجرية كإذ ذكر في شريط من الكتاية بسقف المقعد الرئيسي ..

والبيت الثاني هو بيت آمنة بنت سالم ويرجع بنائه إلى عصر السلطان قايتباي وقد آل بعد ذلك إلى سيدة يرجع أصلها إلى جزيرة كريت ومن هنا أتى إسم الكريديليه ..!!

ورحمة الله عليكما صاحبي بيت الكريديليه اللذين لم يبخلا عليه فأنشأه بكل هذا الجمال وعلى مستر جاير أندرسون الذي أهدى لمصر التي أحبها كل هذه الروعة ..

شوال فلوس

هبطت إلى شارع ابن طولون الذي يحده من اليمين جبل يشكر وعليه جامع ابن طولون .. وإلى اليسار المساكن والدكاكين وفور هبوطي فوجئت بزفة من الكلمات والتصفيق تنبعث من دكان قريب ..!!

بأعلى صوت كان جهاز كاسيت يعمل بمثابة محطة إذاعة ويذيع ..

● « إبراهيم بسكال بيضحى أكبر تضحية لولاد وأهالي حى طولون .. إبراهيم بسكال بيضحى لولاد حنتة العرايس والعيسان .. والرايح يقول للجاي إبراهيم بسكال بيتحدى الجميع ..!! .. إبراهيم بسكال محضر لكم هنا « شوال فلوس » بيضحى لكم بيه ..!!... » .



١. بيت الكريدليه الفن الإسلامي الذير جاير أندرسون

وعند ذكر شوال الفلوس وجدت قدمى تتجهان تلقائيا إلى مصدر الصوت عازمة على أن أنشب فوراً لحي طولون الذى ينادى أبناؤه وبناته « إبراهيم بسكال .. !! »

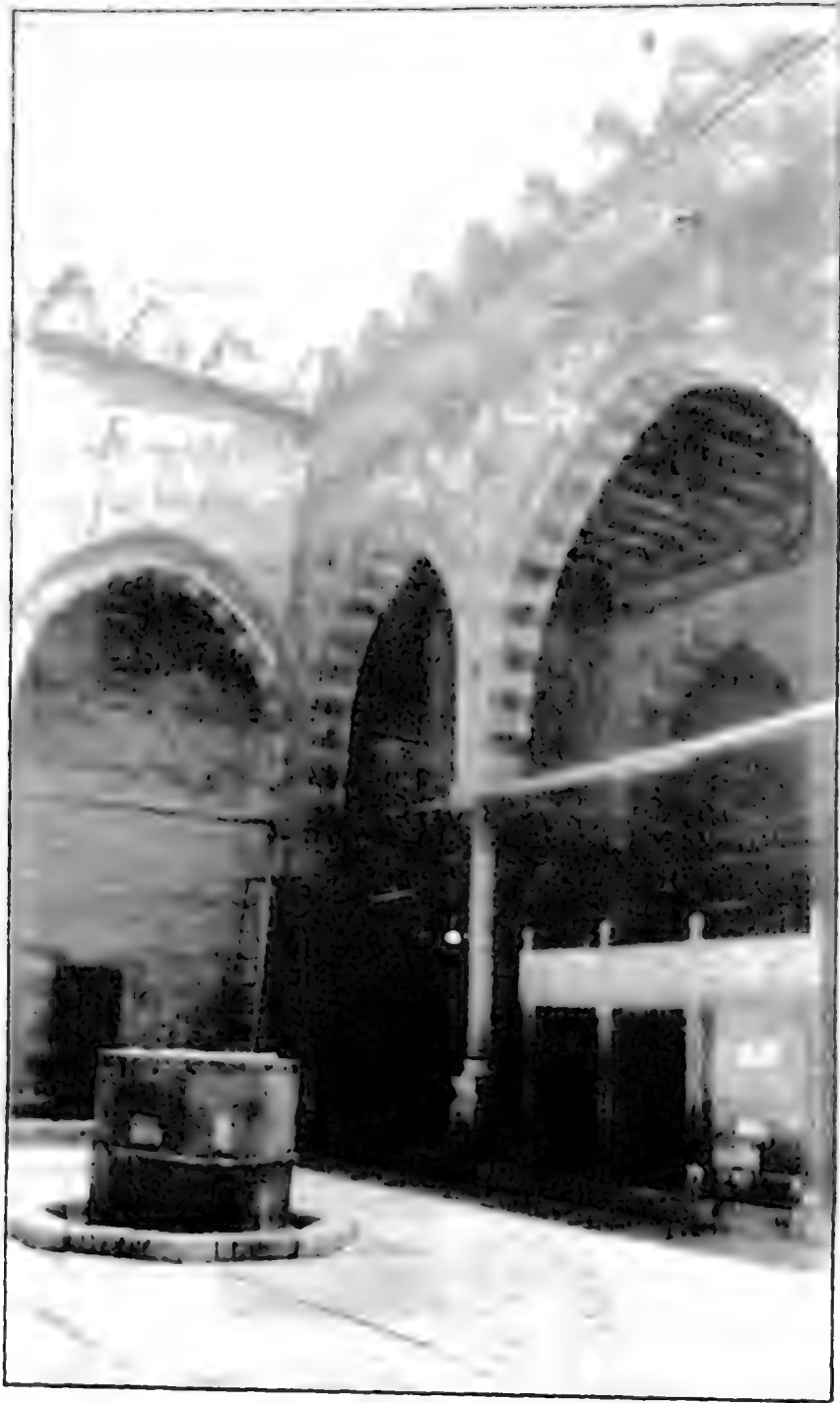
على باب الدكان وجدت ابراهيم بسكال شخصيا واقفا بمريلة مطبخ فوق ملاسبه .. وفى الداخل كان العرائس الحلاوة والولد .. والحصان ينتظرون نتيجة الإعلان المثير .. !!

وقال ابراهيم بسكال :

- المحل ده أيام أبويا .. وأنا حاليا عندى ٦٨ سنة وطول عمرى حلوانى معتبر .. أعمل كل شىء .. صوانى بسبوسة وكنافة وبقلاوة .. ويومين الموسم فى مولد البنى أشتغل على الحلاوة ..
- فىن شوال الفلوس الى بأقول عليه ..؟؟
- معلوم عندى شوال فلوس بادى منه لكل الى بيشتري منى .. لما أبيع كليو الحلاوة بتسعين قرش .. وغيرى يبيعه بجنيه أبقى باغرف للزباين من شوال فلوس ولا لأ ..؟؟
- أهو بقى كل شىء جايـز فى الإعلان وانا أصلى ولا مؤاخـذة عندى ٧ عيال .. !!
- أشرت إلى عروسة على الرف هائلة الحجم كثيرة الزواق فقال ابراهيم بسكال باعتزاز ..
- ضرورى طبعا وإلا تتقل قيمة العروسة ودى بقى بخمسة جنيه ..

* * *

- قبل أن أغادر محل ابراهيم بسكال تقدم شاب صغير السن وقال ..
- أنا بأه المذيع .. !! سألته .. أى مذيع ..؟؟
 - أجاب باعتزاز شديد .. مذيع الشريط بتاع عم بسكال .. حاكم أنا جاره وأحب أخدمه والوقت موسم .. !!
- سامى معروف « المذيع » هو الحلاق المجاور لعم بسكال قال فى ثقة متناهية ..



مدرسة الأمير صرغتمش ... هنا ألقى المفكر العربي ابن خلدون دروسه

● صحيح أنا أحب الإذاعة و« السیما » لكن بقى ولا مؤاخذه ما احبش
الأضواء ..!!

● أحب شغلتي أوى .. لكن على المدى الطويل حاقلب كوافير حريمى بإذن
الله ..

* * *

بشر الوطاويط

ينحدر شارع ابن طولون من الارتفاع إلى الانخفاض .. وقديما لم يكن
بهذا الاتساع وإنما كان مجرد حارة يطلق عليها اسم حارة « بشر الوطاويط » وما
تزال هناك حارة فى نفس الشارع اسمها حارة « البير » .. أما البير نفسه فيقع
داخل بيت الكريدليه ..!!

وسبب تسميته ببشر الوطاويط « أن الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن
جعفر بن الفرات كان قد أنشأها وحبسها لجميع المسلمين ثم لما مر الزمن
خربت السقايات وبنى فوقها البئر وتولد فيها كثير من الوطاويط » - الخطط
التوفيقية لعلى باشا مبارك ..

بقيت البئر وذهبت الوطاويط ..

* * *

وأنا أهبط شارع أحمد بن طولون بجذاء جبل يشكر .. كنت أفكر فى أن
العمل الطيب هو وحده الذى يخلد الإنسان .. فعلى أحمد بن طولون مرت
عشرة قرون .. وعلى الأمير ضرغتمش الناصرى .. مرت سبعمائة سنة وعلى
رحيل جابر أندرسون مر أربعون عاما لكنهم وجدوا جميعا وبعد كل هذه
السنين من يترخم عليهم ويقرأ الفاتحة على أرواحهم فى وسط ميدان أحمد بن
طولون فى هذه اللحظة منذ عام ١٩٨٠ .

.....
.....
.....
.....

حارة اليهود



بها ثلاث يهوديات .

- الأولى .. اعتنقت المسيحية لتتزوج .
- الثانية .. هاجر زوجها ولم يطلقها .
- الثالثة .. زوجها أسلم .

دخل اليهود هذه الحارة منذ ثمانمائة عام في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله .. وخرجوا منها في عام ١٩٦٧ في عهد جمال عبد الناصر .. وبين هذين التاريخين شهدت الحارة أحداثا ... وأصبحت في كتب التاريخ رواية ..

وعلى ألسنة الناس حكاية لا تنتهى .. ثم جاءت مبادرة السلام في نوفمبر سنة ٧٧ فألقت على الحارة غلالة من الأمل في نفوس ألفين من اليهود فارقوها منذ خمسة عشر عاما ...

لكن هل حقا يعود الزمان ...؟؟

مازالت حارة اليهود رغم لافتة كبيرة متكررة معلقة في أكثر من مكان تقول بخط كبير « شارع المصريين » .. لكن الناس يدعونها حتى الآن حارة اليهود ...

أتى اليهود إليها في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عندما قاموا بفتنة ضده في جهة الجودرية قرب بوابة المتولى فنقلهم جميعا إلى الحارة .. حارة اليهود .. وأمر بإقفالها عليهم ليلا منعا للشغب والاضطرابات وكعادة اليهود في كل مكان حولوا الحارة إلى « جيتو » أى حى يهودى خالص إذا قفلوه عليهم لم يحتاجوا لأحد خارجه ...

حى فى حاره ..

إن كلمة الحارة لا يمكن أن تنطبق على ما يسمى بحارة اليهود .. إنها تشغل مساحه كيلو مترين مربعين كاملين تبدأ من وسط شارع الصاغة تماما وتتفرع

فى إثنى عشرة حارة متداخلة .. متشابكة .. كثيرة المنحنىات والمنعطفات
حتى تصل إلى حى الخرشف والحسنىة فى جنوبها .. وتجاور شارع الموسكى
وبقىة الصاغة وحى الحسنى من شرقها ..

وللحارة سبعة منافذ تطل على ما حولها ... وقديما .. وفى ظلام الليل
وعلى ضوء قناديل زيت السىرج الصغىرة كان اليهود يتحركون فى الحارات
الصغىرة الضيقة وحدهم بلا شريك يمارسون طقوسهم بلا رقىب .

إله التجارة فى حارة اليهود

ضمت الحارة خلال فترة تركزهم بها القرن الخاص الذى يصنع فىه
الطعام الكوشى أى الحلال فى شرىعتهم وعشرة معابد لهم ... ومدرسة وملجأ
لعجائزهم .. أما المصانع الصغىرة والدكاكن التى تتاجر فى كل شىء فتلك لعبة
اليهود منذ قديم الأزل ..

وفى أواخر الثلاثىنات بدأ بعض اليهود يتسللون من الحارة الضيقة إلى
شوارع الزمالك وجاردن سىتى والعباسىة بالذات حىث بدأ تركز أغنىاء
اليهود ... وتركوا الحارة لصغار اليهود والحرفىين وبالذات الصياغ ..

وهكذا دخل إلى الحارة المسلمون أولا ثم قلة من المسىحىين حتى جاء عام
٦٧ فخرج منها عشرون ألفا من اليهود وكان فى مصر وقتها ١٢٠ ألف يهودى
متناثرون فى كافة مدن مصر وقراها ولم يبق فى الحارة إلا ثلاثة فقط من
اليهود .. ثلاثهن من النساء .. إثنان منهن رفضتا ترك بيتها الملك فى الحارة
وبقىتا فىه والثالثة بمهارة اليهودىة الشاطرة تخلصت من دىنها ودخلت المسىحىة
وتزوجت من تاجر نحاس مسىحى وأنجبت له اثنين .. واحتفظت فى نفس
الوقت بثلاث من بناتها من زوجها اليهودى الذى هاجر إلى إسرائيل ..

● لفت نظرى كثرة الأقىبة المظلمة فى الحارات الصغىرة داخل حارة اليهود فما
من حارة تخلو من قبو مظلم فى جزء منها .. إن اليهود بدأوا يغادرون الحارة
ويهاجرون من مصر كلها ابتداء من عام ١٩٤٨ لكنهم تركوا وراءهم
أثارهم تدل علىهم ..

- لا يخلو شبر واحد من حارة اليهود من محل للتجارة أو مصنع صغير لأى شىء يخطر ببال إنسان .. لا يفصل الدكان عن الدكان أو المصنع عن المصنع إلا الجدار فقط وكلها دكاكين ومصانع أقامها اليهود .
- رأيت فى إثنى عشر حارة متداخلة محال لبيع القماش بالجملة وبالقطاعى ومصانع صغيرة للأحذية والنحاس والحلى الفالصو والبلاستيك والذهب ومواقد الجاز والأثاث والصفائح وصناعات عديدة من الخلفات .
- حتى تجارى صناعى كامل داخل حارة اليهود وحرارتها الصغيرة التابعة .. الكل فى حركة ذاتية مستمرة لا تنقطع .

شيخ حارة اليهود

- للحارة شيخ كبير وقور يحفظها رغم اتساعها شبرا .. شبرا ويعرف أفرادها فردا فردا .. هو الشيخ زكريا محمد حسن الذى يسكن حارة اليهود منذ أكبر من أربعين سنة .
- علاقة الشيخ زكريا بالحارة وباليهود تسبق أيضا هذه السنوات الأربعين بعشر سنوات تقريبا عندما أمضى فترة تجنيده فى بلوكات النظام فى حراسة حارة اليهود .
- يشهد عم زكريا أن سكانها لم يثيروا أبدا أى شغب من أى نوع ولذلك لم يكن يحمل هم الأمن على الإطلاق .
- بعد انتهاء تجنيده استطاع أن يحتل محل بقال توفى بالحارة بلا وريث فأصبح أول بقال مسلم يبيع لليهود ..
- يقول عم زكريا .. كانت العلاقات بينى وبين جيرانى اليهود طيبة للغاية .. لإنهم يستطيعون أن يكونوا لطافا للغاية عندما يريدون ...
- لليهود فى ذاكرة عم زكريا حكايات .. وحكايات ..
- يذكر عم زكريا أن الحارة كانت آية فى النظافة والتنسيق .. كان لا هم لليهودى بعد عودته من العمل إلا تنظيف البيت ورش المياه أمامه فى الصيف .

● وبعد المغرب بقليل تضاء القناديل في البيوت ويخرج الكل أمام المنازل في ملابس نظيفة يتجاذبون أطراف الحديث . وبنعومة شديدة كانوا يتسللون إلى معرفة كل شيء عن جيرانهم وأحوالهم .. من طول عشرته لليهود يجزم عم زكريا أنهم لا يشعرون بالأمن أبداً إلا لو كانوا على علم تام بكل صغيرة وكبيرة فيما حولهم حتى تطمئن غريزة الحساب عندهم .. هذه الغريزة التي تحسب كل شيء قبل أن يبدأ وينتهى ..

الأكمل الحلال ..

● عم زكريا شيخ حارة اليهود أصبح دليلى ومرشدى في الحارة .. على الصنفين في مدخل الحارة صفان من الدكاكين الصغيرة المتقابلة تباع الأقمشة الشعبية بالجملة وبالقطاعى .. كانت هذه تجارة اليهود الأساسية .

● في إحدى الحارات الصغيرة وبالتحديد في حارة العطار توقف بن عم زكريا أمام فرن مغلق قديم قال إنه فرن الطعام الكوشير ... كان العمل يدور فيه لمدة شهرين متواصلين من كل عام ليصنع طعام اليهود في السبعة أيام المقدسة ... الخبز يصنع من قمح زرع وحصد وطحن بأيدي يهودية خالصة ثم يأتى إلى الفرن فيصنع بالأيدى اليهودية حتى يؤكل حلالا في الأيام السبعة المقدسة .

● عندما خرج اليهود من مصر عام ٦٧ عرضت الحاخامة الفرن للبيع لكنه لم يأت بالثمن المطلوب فأغلقتة ومن يومها ظل كما هو .

وحكايات اليهود مازالت تروى في حارة اليهود ..

● لا تنسى الحاجه عليات عثمان ساكنة المنزل رقم ٥ جارتها ورفيقة صباها « لونا فلفله » ..

● في عام ٣٥ تزوجت ست عليات من أحمد ابراهيم في نفس الوقت الذى تزوجت فيه لونا فلفله من إبراهيم يوسف صانع الذهب ... كانت عشرتها حلوه كما تذكر الست عليات .

● كنا نتخانق الصبح وابقى غلطانة فيها تيجى تصاخنى العصر .. إتعلمت منها الحرص والتدبير وازاى القليل يبقى في إيدي كثير ..

● من المنزل المقابل علا صوت نساءى ينادى .. عم محمد .. عم محمد ..
عايزينك فى البيت . وأطل محمد أحمد ابراهيم ابن الست عليات يجيب على
النداء :

كان النداء يأتى من منزل إحدى اليهوديات الثلاث اللاتي يقين فى الحارة
من اليهود .

● صعدنا إلى المنزل حيث تعيش خميسه يوسف ابراهيم ابنة لونا فلله صديقة
طفولة ست عليات .

● كانت خميسه التى تناهز محمد ابراهيم فى العمر تناديه لتسأله عما تم فى
الطلب الذى قدمته لابتها راسبة الإعدادية فى المدرسة الخاصة القرية فى
الخرنفش .

● استقبلتنا وهى تبسم مرحبة بضيوف أخيها محمد كما تدعوه ..

● خميسه هو اسمها فى الحارة .. ناداها به الأطفال وهى صغيرة لكن اسمها
الحقيقى اليهودى هو لوسى منذ ولادتها بالحارة عام ١٩٣٦ . لكن لوسى لم
تعد يهودية الآن فقد اعتنقت الدين المسيحى لتتزوج من زوجها عام ٦٨ .

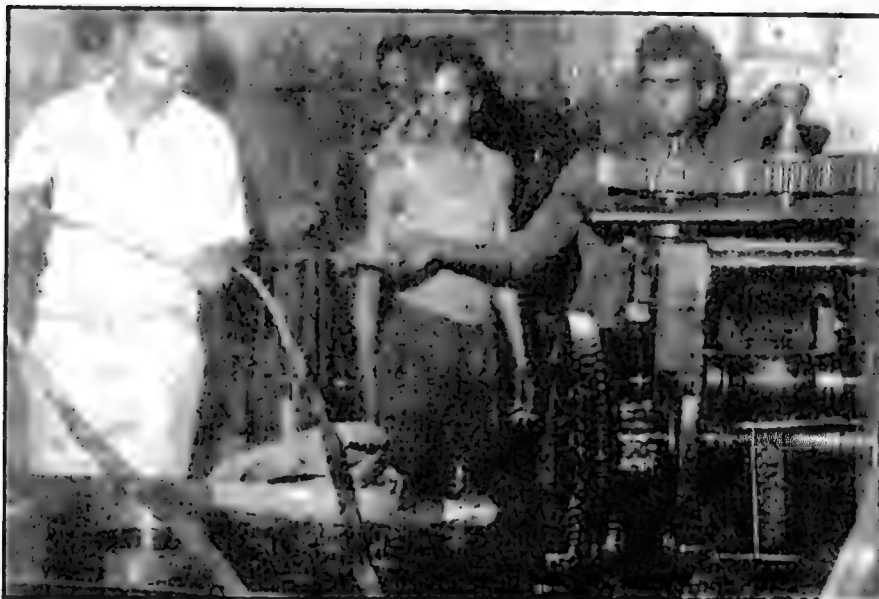
● ظلت لوسى منذ مولدها وحتى عام ٦٧ يهودية قلبا وقالبا . تزوجت فى
شبابها من يهودى مثلها أنجب منه خمس بنات هن بيللا .. ونينا .. ولونا ..
وفورتينيه وسونيا ..

● كان زوجها الأول حاييم صائغ ذهب فى الصاغة .

● فى عام ٦٨ صمم حاييم على الذهاب لإسرائيل بسرعة حسبته خميسه فى
عقلها .. هى هنا فى مصر ربة بيت لا تعمل .. وستبدأ فى إسرائيل وهى فى
هذه السن تعمل لتأكل هنا جذورها وكل عمرها فهى مصرية المولد
والمنبت .. يهودية الدين .. هنا تعرف الجميع لكنها فى إسرائيل ستبدأ تقاما
من جديد .. وفكرت خميسه ... وقررت وأجرت مقاصة ماهرة مع أبيها
ولإخوتها ... وزوجها .. ستركون لها بيتهم فى حارة اليهود لتعيش فيه ...
ستظل فى الحارة وهم يذهبون لإسرائيل .. تظل هى هنا حارسة للبيت فقد
يعودون يوما .. فهل يجدون أنفسهم بلا بيت ؟؟...



ثلاثة اليهود في الحارة حصة يوسف لصفها يهودى ولصفها مسيحي



المصانع الصغيرة من كل نوع في حارة اليهود

● وذهب زوج خميسه إلى إسرائيل وطلقها قبل أن يرحل وأخذ معه سونيا وفورتينية أحلى البنات الخمس ... وترك لها لونا وبيلا ونينا الأقل جمالا وفتنة ... ولم تتعب خميسه أو تختار وحدها بلا زوج أو إخوة .. فى مدى عام واحد كانت قد تزوجت من رؤوف ابراهيم المسيحى جار دكان أبيها التى تركها وراءه ودخلت فى دينه وتنصرت ... وفى منزل زوجها المسيحى الآن يعيش الجميع .. بناتها الثلاث يهوديات كما هن وطفلاتها المسيحيات من زوجها وهى مسيحية دينا .. يهودية قلبا وروحا كما لاحظت فهى تعرف كل أخبار اليهود الغائب منهم والحاضر وتحرص على أن تقابل من يأتى منهم إلى القاهرة كسائح ..

● قالت لى إنها كانت تنوى أن تبعث بالبنات الثلاث نينا وبيلا إلى أبيهن فى إسرائيل ليتزوجن فلم يعد فى مصر يهود الآن . وقررت بعد مبادرة السلام أن يبقين فعندها أمل كبير فى زواجهن هنا فى مصر بعد تطبيع العلاقات . وقالت .. مصر أم الدنيا والله يا مدام مش كذب ولو كنت عارفه إنى حاستريح هناك كنت هاجرت من زمان .

● طلب محمد ابراهيم ابن السبت عليات من « أخته » خميسه قرص أسبرين وفتحان من الشاى فأشارت خميسه إلى طفلتها الصغيرة من زوجها المسيحى أن توقد البوتاجاز وتصنع عليه الشاى ... تعجبت من تكليفها للطفلة الصغيرة بإيقاد الموقد وهى فى هذه الشن الصغير لكن عندما كنا فى طريقنا لمغادرة المنزل المحت عيني فى نتيجة الحائط فى صالة المنزل أن اليوم هو السبت اليوم الذى لا يوقد فيه يهودى أصيل بيده أى نار ...!!..

شطارة اليهود ..

● عندما هبطت من منزل خميسه يوسف لفتت نظرى نجمة داوود مشغولة بالنحاس على الباب الحديدى الكبير وعدت وبصحبتي الشيخ زكريا نضرب بأقدامنا فى الحواري الصغيرة الإثنى عشر .. ودارت رأسى من حركة البيع المستمرة والشراء ..

● فى إحدى العطف الصغيرة وجدت ألواحا من الحديد عليها وحدات متكررة من النحاس اللامع إقتربت من الألواح لأقرأ عليها أسماء بيير كاردان

وكريستيان ديور وإلف سان لوران .. منقوشة بالحروف اللاتينية على قطع صغيرة من النحاس الأصفر الجميل ... تعرفت فيها فوراً على القطع النحاسية التى تلصق على حقائب اليد الغالية الثمن فى شوارع سليمان باشا والزمالك وقصر النيل ... كان صانعها يصنفها صفوفاً متتالية وهو يحصيا بصوت خفيض واقتربت منه .. محمد محمود عبد المجيد صاحب مصنع الأشغال النحاسية الصغير ..

● قال لى إنه كان تلميذا للخواجة ليتوكوهين صائغ الذهب والنحاس فى الحارة تتلمذ على يديه وعرف منه الصنعة وأسرارها ولما خرج الخواجة ليتوفى عام ٦٧ إشتري منه المصنع الصغير واستمر يعمل فيه حتى الآن .

● يصنع محمد عبد المجيد هذه القطع النحاسية لحساب مصانع حقائب اليد الغالية الثمن ... الشيك .. يبيع لهم الألف جوز بعشرة جنيهات ... يصنع أيضاً أشكالا وألوانا من الحلى النحاسية التى تحول حقيبة اليد والحذاء الحريرى من حذاء عادى إلى حذاء ثمنه فوق العشرة جنيهات بسبب هذه القطعة الصغيرة اللامعة من النحاس .

● قال لى وهو يعمل ويتكلم فى نفس الوقت .. اليهود عفاريت الصنعة ... أى صنعه من مافيش فى عام ٦٧ عندما باع له الخواجة ليتو كوهين الورشة وهاجر إلى إسرائيل لم يكن ليتو سعيدا وهو يترك حارة اليهود لكنه كان خائفا من الغد وما يمكن أن يأتى به . أكد محمود عبد المجيد فى انفعال .. وحياتك يا مدام هما سابونا خوف مش حبا فى إسرائيل .

إستر وعزيزه حاييم

فى حارة اليهود ٧٢٠ محلا ومصنعا صغيرا تباع كل شىء حتى الأكلمة والسجاجيد من فضيلات القماش ولا يعرفون كلمة مستحيل فالرزق يحب الخفية ... وكل من فى حارة اليهود فعلا خفاف وشطار ويعملون من الصبح حتى المساء ..

فى حارة اليهود أيضا كان ملجأ العجائز اليهود مازالت الكلمات المخفورة أعلاه تقول .. هنا دار المرحوم رحمين اسحاق ليشع الخيرى .

في نهاية عام ٦٧ كان يضم ٢٦ يهودى ويهودية من العجائز وكانت
الحاخامخانه تنفق عليهم من التبرعات ... عندما خرج اليهود جميعا إنتقل اليهود
العجائز إلى ملجأ آخر في شارع أحمد سعيد .

● خرج اليهود حقيقة من ملجأ عجائز اليهود لكن الحارة مازال بها حتى الآن
إثنان من عجائز اليهود رفضتا أن تتركا الحارة لأى سبب من الأسباب .
ومن يومها وجيرانهما في البيت والحارة يحيطونهما بكل أسباب الرعاية فهما
جيران العمر ..

تعيش الآن إستر ليتو حاييم .. وعزيزه ليتو حاييم في المنزل رقم ١٥ حارة
العطار منذ أكثر من ستين عاما .. هاجر الأهل والأصدقاء لكنهما لا تعرفان
غير مصر وغير الحارة التى شهدتهما طفلتين فشابتين فعجوزتين تقضيان أيامهما
في هدوء ..

● قالت إستر في تأكيد .. نروح فين ..؟ إحنا هنا من أيام سيدنا يوسف ماباع
القطن !!..

في زمن الشباب كانت إستر خياطة متواضعة لكنها كانت تكسب الكثير
من الحارة وما حولها من حارات . وكانت تذهب لتخيط في البيوت .

● أما عزيزه فكانت خياطة كبار القوم وكانت تدخل إلى بيوت الوزراء
والكبراء ... كانوا جميعا يحبونها لإتقانها عملها ويرسلون السائق بالعربة ليأتى
بها ويعود بها أيضا إلى الحارة بعد انتهاء عملها . وكانت أجرتها غالية في عام
١٩٣٠ كانت تقوم بخياطة الفستان « بجنيه كامل » .

● من دخلها في الخياطة إستطاعت أن تشتري هذا البيت لأمتها وأخواتها
وتعيش فيه الآن مع أختها وتأكلان من إيجاره ..

● في الشكل وفي الحظ والزواج إستر وعزيزه متشابهتين .

● عزيزه تركها زوجها عام ٦٧ وهاجر فجأة دون علمها إلى إسرائيل ولم
يطلقها حتى الآن ..

● وإستر مازال زوجها في القاهرة لكنها لا تراه فقد دخل في الإسلام وتزوج
من مسلمة وأنجب الأولاد .

- تقول إستر إن الخلاف بينهما بدأ يوم اكتشف أنها ادخرت ثلاثمائة جنيه بعيدا عنه وبدون علمه ومن يومها بدأ في التباعد حتى دخل في الإسلام
- لا تعرف إستر من العبرية حرفا واحدا غير كلمات الصلاة .
- بين كل كلمة وأخرى كانت إستر تقول وهى ترحب بنا .. اليهودى يحب يخدم العالم كله ... أنا كنت بأعلم جيرانى إزاي يعملوا الكعك والمرى ويقطروا الزهر فى البيت اليهود مش بخلا لكن يخافوا على الفلوس .
- أحب أروح إسرائيل فى زيارة بس لكن أرجع تانى أموت هنا فى مصر .. وصمتت برهة ثم قالت لكن أنا عجوزه عايزين فى إسرائيل الشباب وبس .
- وبدأت عزيزه تقول بدون مناسبة .. اليهود القراوين ناس وحشين بياكلوا السمك القراميط والسمك الثعابين مع إن الرب قال لازم السمك يكون له قشر عشان يبقى حلال ..
- إبراهيم بن عمى داوود حسنى كان عندنا امبارح ببسأل عنا .. إسم ابراهيم فاروز هوه الى بدع اليانصيب ..
- إسمعى فيه مشكلة أحب تنكتب فى الجرنال .. البيت بتاعنا ده بييجيب مبلغ بسيط والأمم المتحدة لما زارتنا وعرفت إن لنا بيت ملك مارضيتش تدينا فلوس ممكن يعنى تكتبى يدونا فلوس ...؟ الفلوس حلوه جدا خصوصا لما تنشال لوقت زنفه ..
- حاتكتبى فى جرنالك عشان الفلوس تبيجي ؟
- طيب إقعدوا معانا شويه دانتو ماشربتوش حاجه .. ولا النهارده الخميس عندكم صيام « كان اليوم هو السبت » ... برضه الصيام مفيد للصحة ... نورتونا .. ده احنا النهارده زارنا النبى محمد وموسى وعيسى بن مريم وكل الأنبياء ..

بخل أم شطاره ..؟

- أسأل عم زكريا ونحن نغادر البيت فى الظلام الدامى مساء يوم السبت .. هل حقيقة ما يشاع عن بخل اليهود ؟
- أكاد ألمح ابتسامته فى الظلام وهو يجيب :

● كان عندنا هنا في حارة الكنيسة الله يسميه بالخير الخواجه أنطون .. يوم الجمعة ينصب نصبه قصاد بيته عليها الوابور وميه بتغلى ويدبح الفرخه بقرش صاغ ولما صلاة الجمعة تخلص يكون غسل لإيديه ولبس نظيف وواقف مستنى على باب الحارة بدوارق المية بالزهر .. يدى كل الى راجع من الصلا يشرب الميه بتعريفه الكبايه .

● أما الخواجه ليشع فكان يشتري من معامل الأشعة والمستشفيات ورق الأشعة القديم الى خلاص حايرموه ويطلع منه نترات الفضة يطلّى بها الصيغة التقليد ويبيعها .. وورق الأشعة الى يفضل يعمل بيه أكياس لحفظ البطاقة والباسبور ...

● والست إستر بنت ابراهيم راحيل كانت سبحان الخلاق فيما خلق .. جمال ما وصفش .. كانت في كلية الصيدله وكانت عربية جيش مليانه ضباط تستناها كل يوم الصبح في القبة عشان يشوفوها بس وهيه رايحه الكلية ... كانت وحياتك يا مدام لما تشرب الميه تبان من رقبتها ... وفي يوم نزل أخوها فرج فرحان أوى ومزأطط سألته فيه إيه يا فرج .. قال .. أختى إستر حانتجوز من غير ما تدفع دوطه ... حانتجوز راجل عجوز ..

رئيس الطائفة ..

في أول كل شهر يقوم عم زكريا بزيارة إلى وكالة قماش في سكة اللبودية بالحمزواى الكبير يسلم هناك ويستلم ... عم زكريا يعمل أيضا جاييا لأموال اليهود التى مازالت في حارة اليهود ويسلمها في أول كل شهر لرئيس الطائفة اليهودية الخواجا أليكس اسكاكي ويتسلم منه ٥٪ من قيمة ما يجبيه ...

● عم زكريا يجبى في أول كل شهر مبلغ ٣٢٠ جنيها مصريا قيمة إيجارات بيوت قديمة ودكاكين صغيرة يذهب ربعها للطائفة الإسرائيلية في مصر التى يبلغ عددهم الآن خارج الحارة - ١٧٠ فردا بالقاهرة وحوالى ٢٠٠ بالاسكندرية .

● وكان لابد من زيارة لوكالة الأقمشة بالحمزواى الكبير حيث الخواجه فليكس أسكاكي الرئيس المالى للطائفة اليهودية في مصر فلم يعد لهم حاخام مقيم في مصر منذ عام ٦٧ .

- سألتى الخواجه اسكاكى فى بداية حديثى معه أن أحدد بالضبط ما سأأخذه منه من وقت ونظر فى ساعته .. ثم تنهد وهو يقول ..
- كنا ١٢٠ ألف يهودى فى مصر كلها .
- فى الحارة كان حوالى من ١٥ إلى ٢٠ ألف منا .
- من ٨٠ سنة كان كل أغنياء اليهود فى الحارة ثم خرجوا منها جميعا إلى الأحياء الراقية وتركوها للفقراء .
- لكن الحارة مازالت المكان الحقيقى لليهود فى مصر ففيها عشر معابد معبد بلهنيس وجايم وراموشى ويعقوب وإسماعيل وابن ميمون وغيرهم وبها أيضا المدرسة وفرن الكوشير .
- أجرت الحكومة المصرية المدرسة من الطائفة اليهودية وتدفع لها إيجار ألف جنيه .

- أنا الرئيس الدنيوى للطائفة الإسرائيلية فى مصر أنا الذى أتحدث باسمهم مع المسئولين وأعرض مطالب الـ ٣٧٠ الباقية من اليهود فى مصر وأوزع الأموال التى تأتى على المستحقين منهم والفقراء . ولقد تعيشت مع ييجين عندما حضر فى قصر الطاهره . وحضرت عشاء آخر مع إيجال يادين بدعوة من فكرى مكرم عبيد فى فندق هليوبوليس بالاس .
- الدنيا كلها مبسوطه من السلام وأى حد عنده شوية عقل مش حتى عقل كثير يعرف إن الحرب دى ماتجيش أبدا فايده .

- وافق الرئيس السادات أخيرا على أن يكون للطائفة فى مصر حاخام دينى من جديد وسيأتى من إسرائيل بعد شهرين ... إنتهت العشر دقائق للحديث شالوم ... وفى لحظة رأيت ظهر الخواجه فليكس سكاكى وهو ينصرف ... وانتهد العشر دقائق حقا للحديث لكن لم ينته بعد الحديث فلا يمكن أن ينتهى فى مصر أى حديث عن اليهود دون أن نستمع إلى السيد محمد عاشور الذى يتاجر فى القماش ويطلع على نفقته كتبنا عن اليهود يوزعها مجاناً لمن يريد حبا فى العلم وفى الحقيقة ..
- الحاج سيد عاشور فى سوق الحمزاوى الكبير صديق قديم لليهود منذ



العشرينات فقد كان أول تاجر أقمشة مصرى ينفذ من خلال الحصار الذى كانوا يفرضونه بشتا على تجارة القماش فى مصر ..
وفى اليوم الذى ذهبت فيه إليه كان قد أصدر كتابه الثامن عن اليهود ويحمل عنوان الصوم عند اليهود .

وقال الحاج سيد عاشور عن حارة اليهود ..
● خسارة كبيرة أن تندثر الحارة وتضيع معالمها المميزة كان يجب أن نحتفظ بها للسياح .. الحارة لها قيمة تاريخية كبيرة منذ عهد المعز لدين الله وبها عشرة معابد قيمة كمعبد ابن ميمون أعظم فلاسفة اليهود وطبيب الناصر صلاح الدين الأيوبي الخاص وأول من قدم شرحا للتوراة فى ١٤ جزءاً .
● وبعد مازالت الحارة كما هى .. خرج منها اليهود ومرت سنوات وسنوات لكن مازالت تتردد فيها حتى الآن حكايات اليهود .

.....
.....
.....
.....
.....

حارة العوالم



هنا عاشت زوبة .. ونبوية شخلع وعزيره
كهريا .. ونظله العدل .. وفاطمة سمكه ..

حارة العوالم من الخارج هى حارة الأنس .. والحظ والبهجة والفرفشة ...
هى بهجة وأنس وطرب ... وراقصة تلمع بالترتر والألوان تحت
الأضواء .. والموسيقى تدق ... والفرح ينتشر ...

حارة العوالم هى اللعب بالألوان .. وبالنغمات ... وبمشاعر الناس فى
لحظات الفرحة المطلق ...

هى الفرحة ... والأنس .. والسهولة .. هى مزيجة وطيلة ... ورق ..
ونغم على واحد .. ونص ..

هذه هى حارة العوالم من الخارج وفى عيون الآخرين !!...!!
ومن الداخل .. فحارة العوالم فيها حقا كل الأنس والبهجة ..
والفرفشة .. وفيها أيضا بجانب الابتسامات دموع .. وحب .. وزيف ..
وبصدق .. وحكايات كثيرة ... كثيرة .. وفيها من إسمها الكثير فهى ليست
عالما قائما بذاته فحسب ... لكنها حقا عوالم متعددة داخل حارة العوالم !!...!!

حارة العوالم .. فى باب الخلق

الشائع لدى الكثيرين أن حارة العوالم هى جزء من شارع محمد على محطة
الأنس فى القاهرة منذ ما يقرب من ١٥٠ عاما ... لكن الحقيقة غير ذلك
فحارة العوالم تقع فى جزء من ميدان باب الخلق قريبا جدا من مديرية أمن
القاهرة .. وعلى بعد خطوات أيضا من دار الكتب ... وتطل من مسافة قريبة
على شارع محمد على ؟..

وحتى ما يقرب من ثلاثين عاما كانت الحارة هى حارة العوالم بحق
وحقيق ... لا يخلو بيت فيها على صغرها من عالمة أو أكثر تنثر البهجة فى ليالى
القاهرة ...

فى الصباص كانت دائما هى الحارة الوحيدة الهاءة .. النائمة مهما علت
الضجة فى ميدان باب الخلق الصاخب المزدحم واشتد الضجيج ومن بعد
العصر تبدو الحارة وكأنها قد شدت شالها فحزمت به وسطها وأخذت تهتز فى
شخلة ودلع حتى ساعات الصباص الأولى عندما تبدأ نومها ..

يقول فكرى حسين المطيباى « وهذه كانت مهنته فى كار العوام » أن
الحارة كانت تبدأ يومها مع آخر ضوء من النهار فتفتح الشبابيك فى كل البيوت
وتعلو أصوات ضبط الأوتار ... وضبط الطبله على واحده ونص .. ويبدأ ليل
الحظ .. والفرقة فى قاهرة المعز على رنين ضحكات العوام وهن يرتدين
ألوانهن الزاهية إستعدادا للانتشار فى أفراح وحفلات العاصمة ...

زوبة وشخلع

يقول فكرى الذى اعتزل العمل الآن وأصبح يعطى دروسا فى الأكرديون
أن الحارة كانت تضم فيما مضى أسماء لامعة فى سماء ليالى البهجة والطرب .
كان فى الحارة على أيام عزها .. ست زوبة الكلوباتية .. وست نبوية
شخلع .. وست عزيزة كهربا .. وعايده وصفى .. وتوحيد .. وفاطمة
الطحانه وعزيزه حظ .. وثريا سمكه .. وغيرهن كثيرات .. منهن من توفت
ومنهن من انتقلت من حارة العوام إلى شارع آخر بعيدا عن العالم الذى انتمت
إليه طيلة حياتها بعد أن اعتزلت العمل تماما . وأصبحت الحارة الآن تضم على
الجانبين محلات تصنع جهاز العرايس بأسعار متواضعة .

الظاهرة الغريبة التى صادفتنى : أن العوام المتقاعدا قد انتقلن جميعا من
بدلة الرقص إلى الحجاب الكامل الذى يغطى ما أمر الله بستره وأن معظمهن
رغم إلحاحى الشديد قد رفض الكلام عما مضى من أيام ..

وأنا قلت أتوب

وده شىء مكتوب

وخلاص النوبة سماح

لكن حارة العوام، وإن خلت اليوم من العوام إلا أنها مازالت مركز

المعلومات الدقيقة عن عالم العوالم فمن الحارة تستطيع أن تعرف أين توجد كل عالمة الآن مهنة قد انتشرت حول الحارة وفي نفس المنطقة في حارات باب الوزير ودرب عنبه ... وحارة المدبح .. والمناصره ... ربما لتستطيع كل واحدة أن تكتب في بطاقتها كلمة فنانة بدلا من عالمة ...

ومن حارة العوالم الخالية من العوالم أحالوني إلى شارع محمد على حيث مجمع العوالم الكبير ... وعبر ميدان باب الخلق أخذت طريقى إلى شارع محمد على ... وخطوات قليلة وأصبحت داخل عالم « الهىء .. الهىء .. » وضرب الرق .. وسلام مربع .. » .

* * *

سعاد نجفة

على قهوة التاج وسط شارع محمد على كانت تجلس تشد أنفاس الشيشة بحرفة وتتفرج على الشارع أمامها في شروود ... وكل ما فيها ينطق بأنها عالمة أصيلة ..

حبكة الملاءة على جسدها ... ووجهها اللامع الناعم .. وحواجيبها المزحجة بدقة بالغة .. والكحل المختفى في رموش عينيها كأنه كحل ربانى .. والذهب الكثير الذى يغطى صدرها وذراعيها ينطق بسنوات العمر الطويل الذى أمضته في جمعه ..

كانت ست سعاد نجفة العالمة المعتزلة حاليا كما تقول تجلس على القهوة كعادتها في كل عصر عندما جلست بجانبها تحت البواكى ... وشارع محمد على يروج ويغدو أمامنا متمخترًا ...

شدت من الشيشة نفسا طويلا قبل أن تقول ..
قمر المصرية .. وحميده المناصره ... وأمال حسين .. ومنيره المعداوى ..
كانوا ستات بمعنى الكلمة كلمتهم واحدة .. وما فيش منهم أى غلط .. كلهم الى ماتت .. والى حجت .. والى ست فى بيتها .. أصل الكار مابقاش كار ... ده لم لمامه .. كل اللي هربانه من أهلها ... اللي هربانه من جوزها ..

الى بيت الخدمة مزهقتها .. أسهل حاجة عندها تلفع ملايتها وتحصل شارع
محمد على تهز وسطها وتلون وشها وتقول أنا عالمه ...

الله يرحم أيام زمان .. كانت الأسطى العالمه تحسب حساب للفرح
وأصحابه لازم ياخذوا حقهم تمام .. تلمنا أربع خمس بنات وتفتش علينا قبل
ما نروح ... الماكياج مضبوط ولا لأ ؟.. ريحتنا حلوه ولا لأ ؟.. فيه فتق في
البدة ؟.. فيه قطع ؟.. البدة نضيغة ولا لأ ؟.. ونروح بيوت وزرا وباشوات
ندخل في أدبنا نقعد مع الستات .. وبعدين في الفرحة الأسطى تقعد على الكنبه
تغنى وهيه قاعدة واحنا نرقص ... وفي الزفة الأسطى تمسك الرق تغنى واحنا
نرف .. في الفرحة الكبير المعتبر .. كانت أحسن بنت تاخذ ٥٠ قرش بالكثير
والأسطى ٥ جنيه ..

للحب حكايات ..

للحب في حياة ست سعاد نجفة حكايات ..
● منذ ثلاثين عاما شبك الهوى في أحد الأفراح مع أحد الفتوات المجدع ...
من أجل عيونه هجرت ست سعاد الكار سبع سنوات وهى في عز ..
عزها ..

وسبع سنين السنه دى
ونا باموت في الضحكه دى ..

● سبع سنين ياخنى حكم فيا حكم قراقوش .. أشوف أمى كل ١٥ يوم ...
وان خرجت أخرج بالبرقع أبو قصبة .. أبو صحيح القصبة ذهب .. لكن
أهو برقع مدارى عنى الدنيا ...

● بعد سبع سنين جواز حنيت للكار تانى قلت له إنت من سكة ونا من سكة
يا بن الناس .. ورجعت لقيت الدنيا اتغيرت شويه .. لكن برضه كانت لسه
دنيا ... فضلت اشتغل لغاية ١٥ سنة فاتوا لما الضرايب خلتنى ماشية أكلم
نفسى ... كل يوم جواب وكل يوم مرسال .. مطلوب منك ... مطلوب
منك .. لما زهقت وغلب غلبى .. إتجوزت وقعدت في البيت ..

- أفراح زمان ...؟ هيه فين أفراح زمان .. ما بقتش تنشاف ولا فى الأحلام ... دلوقتى أى بلطجى بسنجه يقف ويقول أنا نقطت بثلاثة جنيه هاتوهم لاخطف الرقاصة الى معاكم !!...
- تيجى الحكومة الى بتدور ع الضرايب .. تيجى تحمى الرقاصات ...!!...

« موسيقه » الجمعية الخيرية

- عند محل « موسيقه » الجمعية الخيرية وسط شارع محمد على توقفت .. كان الرجل العجوز بداخله يدير جرامافونا قديما ويهتز طربا على نغمات أغنية تقول كلماتها:

فى الليل مانامت عيونى
يحسبوا العاشق ينام
دا العاشق مفرم صبابه
ما على العاشق ملام
يا عنيه ... سلامات يا عنيه ..

- كان الرجل بجسمه النحيل وحشمت وجهه الراقصة مع كل نغمة فى الأغنية صورة مجسمة لكل تاريخ الشارع الذى نقف فيه .. شارع محمد على ...
- على وجهه كانت تدق المزهرة .. والطلبة ... وتهتز عالمة أصيلة من عوالم زمان ..
- اضطرت أن أوقظه من نشوته فتلقانى بابتسامة ودود وخلع غطاء قديما للرأس عن رأسه وهو يمينى ... عم سيد الجداوى صاحب محل « موسيقه » الجمعية الخيرية يقترب من عامه الثمانين .. لكن لأنه عاش عمره فى أنس وطرب فلا يبدو عليه سنه الحقيقى يبدو عليه الشباب أليس كذلك ؟.. هكذا تساءل فى سرور واضح ..

- عم سيد هو أقدم من فى الكار فى شارع محمد على حاليا .
- كان فى الأصل منجد بلدى وكان أبوه فى الكار ثم مات أبوه وخشى عم سيد أن « يضيع » إسم العائلة من الشارع كما قال فترك التنجيد وأقام فى المحل ليبقى إسم العائلة محفوظا فى عالم المهشك .. بشتك ..



الشعبدان وأين هو الآن ... ؟؟

- يادى العمر الطويل ... هكذا قال عم سيد وهو يعتدل فى جلسته تاركا يديه تصاحبان الحديث بالنقر على مائدة صغيرة أمامه على واحده ونص ...
- المحل ده « اللى حافظ لإسم العيلة » بيأجر الآلات الموسيقية النحاس للصناعية ... صناعية الفن، يعنى
- النفير بعشرة صاغ .. فى الليلة .. والطبلة بخمسة والرق بخمسة ... ونا كنت فى زمانى ألعب ترميته .
- راح زمن الموسيقى النحاس الجميلة .. كانت فرقة حسب الله أحسن فرقة فى الشارع تتأجر بعشره جنيه فى الليلة وعددها ٢٤ نفر بالهدوم الصفرا .. وكان فيه فى الشارع ٧ محلات تبعها فرق « الموسيقى » النحاسى مابقاش غير ٣ .
- وآه يادى العمر الطويل ... الشارع ده كان ضحكة الأنس والحظ والفرفشة .. كان نجفة مصر اللى تفضل تلالى طول الليالى ماتنطفيش ..
- عاد عم سيد يغنى لنفسه بصوت خفيض وهو شارد النظرات ...

إن حيت ابقى اعذرني
وهات السكينة واجزوني
حاصل لك شيخ وتيجي تزورني
وحبيبي

- إنتابه نوبة نشاط مفاجيء وهو يقول ..
- ماحدش بقى بيقدر مزيجة النحاس .. مع إن أنا نفسى إتزفيت بمزيجة النحاس .. أنا نفسى ...
- وقف عم سيد بجوار مقعده وهو يشير بيديه بحماس ... خرجت المزيجة من هنا ٢٤ نفر لغاية بيت العروسة فى قصر الشوق وهيه بتضرب فى الشوارع .. وفى الفرح هات ياسلامات وصهله لعبت أدوار .. كادى الهوى .. جمالك يا فريد عصرك .. أفراح القبة ... محمد لابس سيفه ..
- كانت المزيجة بتضرب تحت الأسطى نبوية شخلى بتزفنى فوق عند الستات ..

أساطير الحظ

عم سيد يقترب من الثانين ومن غيره يمكن أن يحكى حكايات الشارع الطويل .. وعم سيد « لقطة » بحق وحقيق يعشق الحكايات ويجب أن يروى .. قال ..

- لو اتكلم كل حجر وكل باب بيت في شارع محمد على حاقول عجب ويحكى حواديت أغرب من أى خيال ..
- مره واحد نيه من مدرسة المهندسخانه نازل من على سلم بيت أسطى زوبه الكلوباتية بعدما اتفق معاها تحبى فرحه على بنت ناس م المنيرة بعد جمعتين .. نازل على السلم .. إلا وصبية من صبيان الأسطى طالع حافيه شاربه فحم من الشارع .. البيه وقفها وسألها عن إسمها ومن إيدها خدها ع المأذون عدل واتجوزها بدل العروسة ... ومن ٤٠ سنة عايشين مع بعض في التبات والتبات في العجوزة على وش النيل وولادها دلوقت مهندس .. ودكتور ..

- ومرة واحد موظف في مديرية مصر عشق واحده عالمه عند بديعه مصابني وصرف عليها فلوس الدنيا لكن قلبها كان مع واحد غيره .. أثاره بيختلس عشان يجلب محبتها ولا فائدة .. وفي يوم كشفوا عنده في الشغل عن الفلوس الناقصة وصبحوا حايلغوا فيه البوليس ... علمت هيه من واحد صاحبه راحت خالعه صيغتها وسلمتها له يبيعها ويسد الى خده وقالتله إوعى بعد كده تورينى وشك تانى . وكانت تحبى هنا في الدكان أستلف لها الصيغه الى تلبسها بضمائنى .

زمان .. والآن ..

الشارع دلوقت عباره عن إيه ..؟؟

- شوفى يا ستى شارع محمد على هوه شارع محمد على لا يمكن ينتهى أبدا من حياة مصر .. إلا لما الناس تبطل ضحك وفرفشة .. لكن بقى الشارع إتغير كثير أوى عن زمان ..
- زمان كانت العوالم في الشارع على الصفين من كل شكل ولون .. وكانت

كل القهاوى الى انت شايفها دى تحت البواكى مليانة أسطوانات ومطيباتية .. كل مطيب له كذا عالمه يعرفها ويتفق معاها ... تيجى سيادتك مثلا تتفقى على فرح أو مقابلة أو زفة مطاهر .. تيجى القهوه وتتفقى مع المطيب على الموضوع وهوه فى الميعاد يجيب العربية الكارو وياخد العالمه وبناتها لحد الفرح أو البيت وياخد منك ومنها ..

● المطيباتية لسه لغاية دلوقت موجودين ويقعدوا على القهاوى من بعد العصر .. لكن بقى الشغل مش زى زمان زمان كانت الزفة تكلف صاحب الفرح ٢ جنيه غير النقوط ... دلوقت أقل زفة تتكلف ٤٠ جنيه ومفيش نقوط .

● زمان كانت الأفراح بس لوحدها تفتح بيت العالمه وصبيانها لكن دلوقت عوالم الشارع بينزلوا تياترات الأرياف والسيرك وملاهى شارع الهرم .. إليه .. يادى الزمن الطويل ...

● عاد عم سيد يقول .. الفرح زمان كان له أصول كان لابد من مزينة النحاس تضرب قصاص بيت الفرح من أول النهار .. والأفراح كلها فى البيوت .

● بدعة النوادى واللوكاندات دى ماهياش تمام هوه صاحب اللوكانده حايقى قلبه على اللوكانده ولا على الفرح ..

● كانت زفة العوالم لها أصول ولها شمخه .. العالمه تزف العروسة لغاية باب أودة النوم يقوم يفضل الفرح معاها على طول .. دلوقت العروسة تتجوز وتخلف ويمكن ماحدش يحس بيها .

● كان الفرح ثلاث ليالى على الأقل .. ليلة الحنة وليلة الجلوه .. وليلة الفرح .. دلوقت سلق بيض ليلة واحده وبس .

● ياما شفنا عز وأفراح .. أنا والفرقة مره رحنا فرح ابن البدراوى عاشور .. وكانت البدره فى الزفة جنيهات ذهب .. لكن ماحدش من الآلاتية وطى ومد إيده على الأرض والجنيهاات نازله زى المطر .. البدراوى عاشور إتبسسط جدا حط إيده بعد الفرح فى خمسين جنيه للفرقة .

- عاد عم سيد الجداوى ينقر بيده على المائدة الصغيرة وقبل أن يعاود الحديث من جديد كنت قد تسلفت ثانية إلى شارع محمد على ...

نظلة العدل

- كان إسمها يتردد كثيرا على لسان الآلاتية والمطيباتية وزميلاتها القدامى ...
- قالوا لى إنها آخر من بقى من عوالم زمان على أصولهم ... لم تغير جلدها لتساير العصر .. لكنها احتفظت بأصلها حتى عادت الدنيا تسعى إليها فى هذه الأيام التى أصبحت الموده فيها هى العودة إلى القديم فى كل شىء ..

أين نظلة العدل

- بحثت عن العالمة القديمة الشهيرة نظلة العدل فوجدتها فى ظهر حارة العوالم فى باب الخلق « فى درب الرخام » تسكن بيتا قديما متهاككا .. لكن هواه يرد الروح كما قالت لتشرح سبب تمسكها به إلى الآن .

واسمحوا لى أن أترك القلم يكتب كما تكلمت تماما دون أى تدخل فى الصياغة ..

- قالت .. أنا مش عالمة ..!! « آمال إيه ..؟؟ »
- أنا فنانة كبيره أوى ... جدى أبو أبويا كان عالم كبير من عيلة كبيرة أوى .. بس عيلة أمى كانوا أصلا عوالم .. أنا باكلمك بصراحة .. أبويا حب أمى واتجوزها كانت بتقرأ قرآن وتحبى هيه وفرقتها المقابلات عند ستى أم أبويا ...

- أمى هيه العالمه « سُلْمُ » اللى كتب عنها سى توفيق الحكيم ياعينيه ..
- مش حا قولك ... حا .. جه لأ دانا فنانة كبيره أوى مش فنانة صغيرة .. جدى أبو أبويا من عيله كبيرة أوى ..
- أنا فن ما فيش حد يعرف يعمل .. لكن إيه .. خدى بالك .. أنا باكلمك الجدد .. جدى أبو أبويا الشيخ ابراهيم العدل من أعيان الدقهلية كان مع الشيخ المراغى شيخ الإسلام يسافر وياه فى كل البلاد .
- أستاذنا الكبير سى توفيق الحكيم عامل عن أمى حاجات وحاجات ... لما جه

مدير الكتبخانه رحى له أنا وأمى وقاللها إزىك يا أسطى « سَلْم » وإادها
فلوس « غريبة » ..

● أنا أبويا ضىع عشرين فدان على بنات المنصورة وهربت من مرات أبويا
وجيت لأمى فى مصر جوزتنى لراجل فنان عواد بقالى معاه ٤٠ سنة آدى
السبب يا حبيبة قلبى !!...

● أنا اشتغلت مع الست رئيسه عفيفى .. أسطى كبره أوى .. وكانت
بتمسك أفراح كبيرة ... أنا فنانة كبيرة أوى .. وباشتغل دلوقت مدربه ..

● العوالم دول أحسن ناس فى البلد وكانوا بيعخشوا لأحسن هوانم البلد .

● يا أختى أنا كللى فن ياروح قلبى لكن ما احبش أتكلم عن نفسى .. أعوذ
بالله من قولة أنا ..

● أنا طلعت لقيت عمى أخو أبويا عامل فرقة تمثيل واشتغلت معاه .. أحمد
العدل الفنان العظيم .

● أنا حاليا بادرب الرقاصات .. بادرب رقص شمعدان وشرق ورقص العوالم
وشرقاوى ونوبى واسكندرانى .

● أنا كل الصحافة بتجبنى هنا وكل المصورين اشتغلت فى الفن وناسن ١٢
سنة .. رياضية وغاوية الفن ولما بطلت الفن عييت وخسيت .. كان وزنى
١٢٠ كيلو دلوقت بقيت ٩٠ .

● أنا حاعمل فيلم فيه قصة حياى .

● نظله العدل دى بقى ياعينيه ماحدش حايعرف يعمل الحاجات اللى عملتها ..
الشمعدان بتاعى ٢٠ كيلو .. بنات اليومين دول بيرقصوا بشمعدان كيلو
واحد .

● أنا نظله العدل الفنانة الكبيرة .. اللى كانوا بيشيلوا لنا الشنط بقوا أصحاب
قلل وعمارات لكن احنا ضيعنا اللى كسبناه ع الفن والأولاد وأبويا ضىع

● فدادينه على بنات المنصورة « هذا أيضا من ضمن الفن » ..
والنبي ماتنسيش تكتبى عنوان البيت وتقولى إن أنا باحب نجوى فؤاد
وسهير ..

● وانتهت مقابلة نظله العدل دون أن أنطق بكلمة واحده .. هل بعد كل هذا
الفن ما يقال ؟؟..

أمال ..

ومن ميدان باب الخلق إلى شارع محمد على ثانية أرهف أذاني لعلی ألتقط
نغمة سيكّا أو نهاوند .. أو ضحكة رائقة لعالمه تستعد لسهرة ليل طويل .
لكن أذنى لا تلتقطان شيئا غير ضجة الترام وكركبة فى الشارع الضيق .

فى أحد دروب الشارع الضيقة صعدت كما وصف لى عم سيد الجداوى
سلما طويلا ضيقا حتى حجرة ضيقة مزدحمة بالأثاث .. وعلى السرير المكان
الوحيد للجلوس فى الغرفة جلست أمال أحد عوالم السوق حاليا ..

- أمال فى حوالى الأربعين من العمر .. ورغم جلاية البيت التى ترتديها فهى
مهذبه .. تلمع فى شعرها صفرة الأكسجين .. وأظافرها مطليتان بلون أحمر
فاقع وحوها أربعة أطفال وسيده عجوز تستروح الهواء بجانب النافذة ..
- فى الحجرة فى ازدحام شديد سرير واحد ومربتين وثلاجة ومراه .
- أمال فى الكار منذ عشرين عاما .. غوت الفن بلا أسباب فلم تتردد
وانضمت على الفور للكار ..

- من علم نبوية وشهرتها فى الكار أمال فن العوالم ..؟
- علمتها الأسطى دولت أم صبره أسطى كبيرة أوى فى الكار ..
- إشتكت أمال من الكثير .. والكثير .. شكت من الزمن الغدار .. ومن
الكار .. ومن الشارع الضيق .. ومن أحمد فؤاد حسن نقيب الموسيقيين .
- فأما الزمن فقد سلبها الكثير .. سلبها الزوج الذى أنجبت منه الأربع أطفال
« كان عيل ... ونا عيله » .. كان تلميذ ويلعب أكرديون ورايا فى الفرقة
ونا بارقص عشان يحصل مصاريفه .. حصل النصيب والتجوزنا وخلفنا
الأربع عيال ... إتخرج مدرس واشتغل سابنى وساب الأربع عيال والتجوز
واحد مدرسة زميلته ورمانى ورمى العيال .. باصرف عليهم من بدلة
الرقص .

ومنين أروح يا عين م الوعد والمكتوب

واللى جرى يا عين شىء ع الجبين مكتوب

- وأما الكار فلم يعد ... كان زمان من ١٥ سنة تقبض أمال فى الفرع نص

جنيه وكان يكفى ويزيد أما الآن فتقبض ٢٠ جنيه تصرفهم قبل أن تراهم يأخذ المطيب الذى يأق لها بالشغل إثنين جنيه ويأخذ الذى يأق لها بالعربة ويدلها على العنوان جنيه وتتكلف بدلة الرقص ٢٠٠ جنيه وكانت من ٢٠ سنة لا تزيد عن ٢٠ جنيه .

● ساعات ياختى بيجى عليا يوم الخميس ونا قاعده أهش عند المطيب وألاق ناس أى كلام راكين التاكسى ورايحين الشغل .. صيغتي كلها بعثا عشان آكل أنا والعيال .. عندى بدلة رقص واحده وباشحت من زميلتى فى نفس كسمى بدلتها .. والأوده دى فيها أنا وأولادى وإثنين اخواتى وأمى وأختى المطلقة وحماق الى قاطعت ابنها بعد ما طلقنى ومارضيتش تسيبنى .

● وعن شارع محمد على قالت « آمال » « نبوية سابقا » .. الشارع هنا بقى وحش أوى .. جدوا علينا ناس فى الشارع معاهمش كارنيه نقابة أو تصريح دول الى يببوظوا سمعة الشارع ... كل رقاصة تنخطف وتكتب فضيحتها فى الجرائد يقولوا محمد على ..

● وعن أحمد فؤاد حسن قالت آمال .. أقدر أفهم أحمد فؤاد حسن بيدى الكارنيهات والتصاريح دى على أساس إيه ؟.. ده كل من هب ودب بقى معاه كارنيه .. بوظوا علينا الشغل قبل ماتدى كارنيه إتحري عنهم .. لإعمل لهم فيش وتشبيه ..

حسب الله الأول ..

من يستطيع أن يذكر شارع محمد على دون أن يذكر أشهر اعلامه .. المعلم حسب الله صاحب فرقة الموسيقى النحاسية الشهيرة ... هذه الموسيقى التى تملأت بالبهجة كل أفراح مصر منذ ما يقرب من سبعين عاما وكانت فرحة الناس وبهجة الأطفال حين كانت تمضى فى الشوارع حاملة آلاتها النحاسية الضخمة فى طريقها إلى أحد الأفراح ..

● إلى أين انتهت فرقة حسب الله الآن ؟؟

● على نفس قهوة التاج الشهيرة فى أول شارع محمد على يجلس الآن محمود

شلبى هلال عازف الكورنيت فى فرقة حسب الله الكبير منذ خمسين سنة ..

● لم يعرف محمود شلبى هلال طيلة حياته غير ضرب الكورنيت الشبيهة

بالطبله ... ومن دقات أصابعه على الكورنيت عاش أيام عز كثيرة ..
ويعيش الآن أيام ضنك عسيرة .

● في أيام المعلم محمد حسب الله الكبير كان لا يمر يوم بدون عمل لذلك كان محمود شلبي هلال يقتنى بذلتين صفراويتين تلمع أزرارهما النحاس باستمرار وكان يقبض في الليلة ١٠ أو ١٥ قرشا على الأكثر ولم تكن تحيى أيام بطالة أبدا .. له بقى لأن الناس كانت رايقه وفايقه والقرش له قيمة .. إن ماكانش فيه فرح .. كانت تبقى زفة مطاهر .. سبوع .. زفة عفش يبقى واحد طلع م الجيش .. كانت الناس بتخلق المناسبات السعيدة وتفرح نفسها ...

● ٢٤ نفر كانوا في الفرقة .. وكانت أحسن ليلة بعشره جنيه والمواصلات على حسابنا ... مات حسب الله الكبير الفرقة اتشردت ... إبتديت ألقط رزق من هنا وهنا لغاية الشغل مانام خالص والناس قربت تنسى المزيجة النحاس .

● إستجمع محمد شلبي هلال كل قوته وهو يقول .. أنا سمعت الحكومة بتقول التأمينات لكل فئات الشعب .. هوه إحنا بتوع المزيجة النحاس نبقي برضه من فئات الشعب ... ؟ هه ؟؟ .
شربات ...

● أمام محل عم سيد الجداوى وجدت « شربات » !! شربات عالمه من ٢٥ سنة بدأت وعمرها عشر سنوات مع أسطى المطيب الذائع الصيت وكانت في أول أمرها تحمل الشنطة للأسطى العالمه .

● قالت .. أنا مطربة شاطره وأغنى كل الأغاني ...

● ما اقبلش أروح أفراح شبرا مثلا ولو حابات من غير عشا . مره في شبرا نطيت من سطح لسطح عشان كانوا عايزين يخطفوني ... لكن أحب الدرب الأحمر والباطنية عشان بينقطوا كويس أوى ..

● كنت متجوزه زميلي في الفرقة ومات وساب لي الهم الى ما بيخلصش. و٣٠ عيال بارى فيهم وامه العاجزه الى ولادها الرجاله رموها من زن نسوانهم حارميا .. ؟ أهى قاعده وربنا بيرزقني برزق الجميع ... ؟؟

● أنا دائما في الفرح تحت أمر الناس وطلباتهم وأغنى كل حاجه من ورده وفايزه

لشادية ونجاة الصغيرة لكن لو سابوني أغنى الى في ضميرى حاقول ..
أيها الراقدون تحت الشراب !!...
المطيباتى ..

في دكان صغير يبيع الحلويات البسيطة ويبيع أيضا آلات موسيقية كالرق
والطبله والعود وجدته ...

● رأفت هلال في الكار منذ خمسين عاما .. مرت عليه جميع عوالم الشارع ..
قال ...

● كلهم اشتغلت معاهم ... الأسطى زوبه الكلوباتية كنت باخذها الأفراح
باتنين جنيه بالشمعدان .

● دلوقت أقل بنت رقاصة ومش أد كده بتطلب ٣٠ و ٤٠ جنيه وإماره فوق
الوصف ..

● التليفزيون كان يطلب منى بنات للبرامج والرقصات والتمثيليات وكنت
باودى محمد رشدى في الفرع بتاتنين جنيه .

● الضرايب طلبت منى ٤٩٠٠ جنيه عن خمس سنين قفلت الدكانه وفتحت
محل الحلويات والعدد أأجرها للموسيقين .

● الصنعه باظت يا هاتم .. وشارع محمد على راحت عليه من بعدنا .
يا محلا جمالك يا عروسه ..

من الثلاثينات وحتى اليوم أحلى ما يطرب الأذن في زفة العروسة هنى
أغنيات معينة عاشت واستمرت حتى الآن ..

● من منا لم تهزه إتمخبرى يا حلوه يا زينه .، ويا محلا جمالك يا عروسه ..
وزيدوا الفرح واسقوا الشرابات .. عروستنا حلوه ما فيش منها .. ومبروك
عليكى عريسك الخففه يا عروسه يا زايينه الزفة ..

● كلها أغنيات للمحن واحد ارتبط اسمه بأغاني الفرح والزفة وارتبطت حياته
بالأسطى سيده حسن أشهر من أدت هذه الأغنيات وأشهر من زفت
عرائس مصر في زمانها ..

● في خان الخليلي يعيش الآن ملحن أغنيات العرائس التى رقصت عليها كل
راقصات شارع محمد على منذ خمسين عاما ويزيد .

● زكى فوزى الملحن يقول .. كان للطرب والفرح أوان ويبدو أنه قد انتهى الآن .. هكذا بدأ كلامه معي .. « كان الفن للفن ولانبساط الناس وليس للتجارة أو بناء العمارات .. إسعاد الناس ورضاهم كان منتهى نجاحنا ومطلبنا .. »

● عم زكى وزوجته كانا أشهر من زفا العرائس فى زمانهما ... كانت سيده حسن تغنى فى الزفة إحدى أغانيها الشهيرة وعلى نغماتها ترقص الراقصة ..

زواج ابن المراغى :

● يقول عم زكى أنهما أحيا زفاف ابن الشيخ المراغى شيخ الإسلام وابن عثمان محرم وزير الأشغال الوجدى القديم .. وشقيق سى صالح عبد الحى أشهر مطربى زمانه .. وكان مقابل الزفة ثلاثين جنيها فقط شاملة أجر الفرقة الموسيقية والراقصات وست سيده .. وكان صاحب الفرح يضمن نقطة قدرها عشرون جنيها إن قلت عن هذا القدر أكملها هو من جيبه وإن زادت كانت من نصيب الفرقة .

● كان الجنيه كما يقول عم زكى أيامها عشرين يمكث فى الجيب أياما وأيام ..

فى عام ٦٣ توفت ست سيده فجأة وهى على سجادة الصلاة وكانت قد احتجبت عن الزفة والأفراح منذ عام ٥٣ ... لكن أغاني الفرح لا تنتهى ومازالت المزاهر تدق .. يا محلا جمالك .. واتمخبرى ومبروك عليكى ...

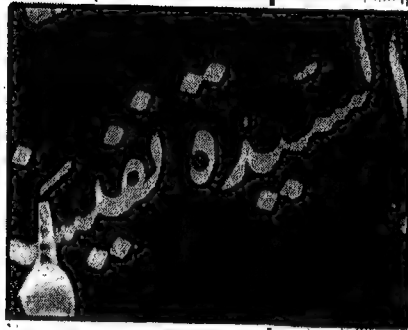
● ويبقى أيضا شارع محمد على ..

● وفى كل فرح مهما كان مستواه لا بد من ظل لهذا الشارع الشهير ... إما راقصة منه أو طبال أو عواد .. أو موسيقى عجوز .. أو حتى المطيب الذى اشترك فى إعداد هذا الفرح .

● أما الاسطوانات ... اسطوانات شارع محمد على اللاتى صنعن شهرته ومجده القديم فقد رحن وراحت أيامهن ...

.....
.....
.....

حارة السيدة نفيسة



أهدأ حارة في القاهرة .. لا يدخلها الحر أو
الجريمة ..

جاءت الراقصة تدعو فتركت زوجها وأقامت
بجوار الست ..
٣ أئمة في مساجد مصر لا يحالون إلى
المعاش ..

هى أهدأ حارة في القاهرة .. والوحيدة التى تخلو من أى مظهر للخروج
على الأمن أو الانحراف فى أية صورة ..

وهى المكان الذى يتسابق إليه رجال الشرطة يودون لو كان مقرا لعملهم
ونشاطهم .. أو بمعنى آخر مكانا لراحة بالهم وهدوء نشاطهم ..
وهم لا يدرون سببا لقلّة الجرائم أو المتاعب فى هذه الحارة الصغيرة ..
وهناك سبب فى اعتقادهم لهذا الهدوء والأمن .. إنه بركة الست التى حلت
 بالمنطقة أليست بحر العطايا .. وكرمة الدارين .. !!

ومع ذلك فالحارة الصغيرة التى تقع يسار مسجد السيدة نفيسة رضى الله
عنها والمسماة باسمها «حارة السيدة نفيسة» تضم مجموعة غريبة من الناس ..
غريبة حقا ..

بجوار السيدة الطاهرة .. وفى الحارة الضيقة التى تضم حوشين للمقابر
ومسكنين وخيمة صغيرة ودكانين صغيرين ومنزلا كبيرا مهيبا هو منزل شيخ
جامع السيدة نفيسة .. فى هذه الحارة الصغيرة يقيم فنان يلعب بالعرائس
للأطفال .. وراقصة سابقة اعتزلت الرقص وأقامت بجوار الست حبا فيها
وتشفعا بها واستغفارا عما سبق من أيام ..

ويقيم أيضا بقال الحارة .. ويقع هنا مدفن محمد فريد قبل أن ينقل إلى
القلعة .. ومجموعة من الناس يختلفون فى المذاهب والمشارب لكنهم وفى النهاية
يجتمعون فى حب السيدة الطاهرة ابنة سيدى حسن الأنور بن زيد الأبلج بن
أبى محمد الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه وابن السيدة
فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانة قلبه ..

ولدت بمكة ١١ ربيع الأول سنة ١٤٥ هجرية في خلافة أبى جعفر المنصور وماتت في القاهرة في أول أيام رجب سنة ٢٠٨ هجرية ..

حارة السيدة نفيسة حارة ضيقة يحدها من اليمين سور المسجد وتحتل مساكنها الجانب الأيسر من الحارة التي حباها الله بشيء غريب للغاية .. فمهما اشتد قيظ القاهرة ولهب صيفها فالحارة رطبة على الدوام .. من يدخلها كأنما انتقل إلى مكان آخر لا يمت بصلة للقاهرة القاتظة المشتعلة بلهيب الصيف ..

في مدخلها يقع منزل كبير على الطراز الفاطمي بالمشربيات الخشبية هو منزل شيخ جامع السيدة نفيسة السيد أحمد محمد عبد الحافظ الذى ورث المشيخة عن أبيه فجدّه إلى خمسمائة سنة مضت .. فمنذ عهد سلطان مصر سليم الأول والمشيخة في آل عبد الحافظ ينالون شرفها أبا عن جد ..

حجرة الشيخ بالمسجد رغم صغر حجمها يملأ الهواء جوانبها ويفيض عليها لونا من الوداعة والبكينة الحلوة .. وفي داخلها يقضى الشيخ أحمد عبد الحافظ يومه من الفجر حتى صلاة العشاء .. ورغم سنوات الشيخ أحمد التي تجاوزت الثمانية والستين فهو لا يزال بادی النشاط موفور الهمّة ..

كرامات الست ..

في رحاب السيدة نفيسة وفي قلب مسجدها أمضى الشيخ أحمد عبد الحافظ سنوات حياته منذ عام ٤٨ حتى اليوم ولا يتمتع بهذا الامتياز في القاهرة غير ثلاثة شيوخ لثلاثة مساجد هم .. شيخ مسجد سيدنا الحسين .. وشيخ جامع الحنفى وشيخنا هذا .. أما بقية شيوخ المساجد فيعينون على درجات وظيفية من وزارة الأوقاف ويتركون مساجدهم عندما تدق ساعة العمر الخامسة والستين ..

من ضمن مهام شيخ الجامع أيضا أن يشرف على فتح صندوق النذور مرة في كل شهر فينحى جانبا ثلاثة أرباع المبلغ حقا خالصا لوزارة الأوقاف ويخصص الربع الباقي للمسجد ومصروفاته ..

صادف الشيخ أحمد - مرة - أكبر مبلغ صادفه في صندوق النذور وكان ثلاثة آلاف جنيه في أحد شهور ما بعد نكسة ١٩٦٧ ..

- يوم العمل المتصل في كل أسبوع هو يوم الأحد « فحضرة » السيدة نفيسة
تم كل يوم أحد وتستمر بعد صلاة العصر وإلى ما بعد العشاء .. يقام الذكر
وتقرأ دلائل الخيرات ويلقى الدرس الدينى أحد الأئمة المتطوعين ..
أما المولد ففي يوم الأحد الأخير من جمادى الأولى وينتهى في أول أربعاء
يجيء بعد ١٢ يوما من بداية المولد ويأتيه الناس من كل مكان ويتحول الميدان
إلى نهار دائم لا يأتي ليله أبدا ..

كرامات سيدنا الشيخ ..

وعن كرامات الست ياسيدنا الشيخ ..؟؟

في سكون تام مد الشيخ يده بكوب ماء مثلج ملأه من جهاز تبريد في
أحد الأركان له مواسير تمتد إلى حيث يشرب الناس وابتسم الشيخ في هدوء
وقال ..

ستنا الطاهرة حياتها كلها منذ منبتها كرامات وفيض من الأنوار
والهدى .. فقد زوجها جدها الكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى من
ولدت بعد خمس وأربعين ومائة عام من هجرته فقد كان إسحاق المؤمن بن
جعفر الصادق يخطبها إلى أبيها وهو يرفض زواجها لصغر سنها فذهب إسحاق
المؤمن إلى الحجرة النبوية وخاطب جده الكريم صلوات الله عليه وسلامه
قائلا .. «يا رسول الله .. إننى خطبت نفيسة بنت الحسن منه فلم يرد على
جوابا وإننى لم أخطبها إلا لخيرها .. ودينها .. وعبادتها ..

وفي تلك الليلة رأى والد السيدة نفيسة في المنام النبى صلى الله عليه وسلم
يقول له «يا حسن زوج نفيسة لإسحاق المؤمن» .. وقد حجت رضى الله عنها
ثلاثين حجة وكان الغالب عليها المشى ..

وفي بيت أبيها نشأت بالرغم مما يحيط بها من مظاهر الترف نشأة الزهادة
والتقشف فكانت تأكل كل ثلاثة أيام مرة وكانت لها سلة معلقة أمام مصلاها
فكانت كلما اشتت شيئا وجدته في السلة وعاشت عمرها كله صائمة
ما أفطرت إلا في العيدين وأيام التشريق وتوفاها الله وهى صائمة ..

الحارة .. والجوار ..

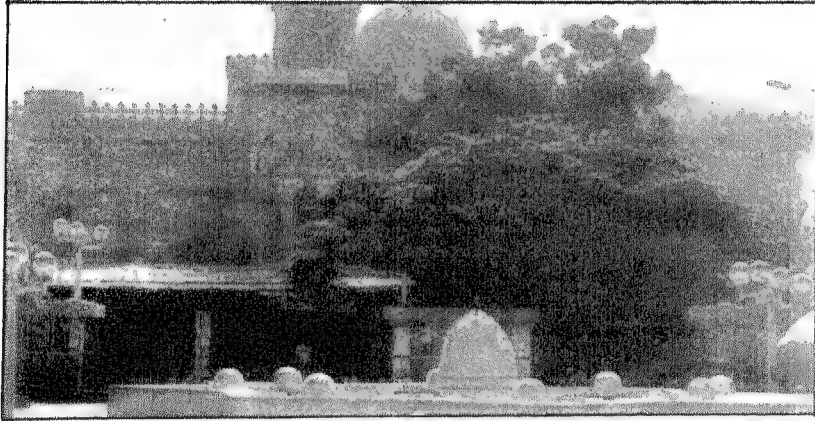
وندلف إلى الحارة الصغيرة الضيقة فيصادفنا في البداية محل صغير للبقالة لم يعتن صاحبه بتنسيقه ..

صاحبه كمال أحمد سالم تزوج عام ١٩٦٠ وانجب سبعة من الأولاد بارك الله فيهم جميعا .. بهجت في الثانوية العامة سيصبح طبيبا بإذن الله .. وإيمان في الثانوية العامة أدبى وستصبح مدرسة عربى ومصطفى ويحبى وحنان وسميرة ونعمت كلهم متفوقون في دراستهم وسيفلحون بإذن الله وبركة الست الطاهرة .. قال ..

ما عرفتش يعنى ايه مباحث التموين .. خد ييقى فى جوار الطاهرة ويعمل الغلط .. ولا مخالفة واحدة من يوم ما استلمت المحل من ابويا من ١٧ سنة .. نخالف ليه ونهب ليه .. القرش الحرام بياخد القرش الحلال فى وشه ويروح .. بصراحة أنكسف من الست لو عملت الغلط ونا جارها .. فى الحالة دى أمشى من هنا الأول ..

كلها أرض الله ..

ندلف ثانية إلى الحارة فنجد خيمة بها من كل لون رقعة .. الخيمة مسدودة ينبعث من تحتها بكاء طفل صغير احترت كيف أنفذ إلى داخلها وهى مشدودة بالحبال .. فجأة خرج من تحت الرقع جسد صغير يحبو .. خلفه اندفعت أمه تريد أن تسترده ..



السيدة نفيسة .. الأمن .. والهدوء ..

داخل الخيمة الصغيرة يوجد كل شيء بخطر يمكن تصوره وابور غاز مشتعل تحيط به من كل جانب الخرق والهلاك وتكاد ناره تصل إلى سقف الخيمة .. ولمبة غاز مطفأة وقلة ماء .. وبعض الأواني وحجارة كبيرة بيضاء تحيط بكل هذه الأشياء لتمنع أطراف الخيمة من الانفلات ..

ساكنة الخيمة هي نادية السيد صالح زوجة نبيل أحمد سلام العامل بالبلدية .. منذ شهرين تقيم نادية وزوجها وطفلهما حسين بهذه الخيمة .. ضاقت بهم الدنيا عن أن يجدوا مسكنا لهم ولم يضق بهم جوار الست الطاهرة حتى الجيران الذين سدوا عليهم الحارة الضيقة بهذه الخيمة لم يضيقوا بهم .. الست كريمة وجوارها أكرم كما قالت نادية ساكنة الخيمة ..

خطوات أخرى بعيدا عن الخيمة ويبدأ جسم الحارة الحقيقي في الظهور .. أمامي بابان لحوشين للمقابر .. قبل أن أدق باب أولهما رأيت أمامي أميني شرطة يسألان بأدب شديد عما أفعله .. وبسرعة أظهرتا تفهما واضحا لمهمتي ..

أحدهما أمين الشرطة نبيل المليجي رئيس نقطة السيدة نفيسة الكائنة في الميدان قال ..

أنا هنا من ثمان سنوات كاملة .. ولأحب أن أنقل رغم أنني أجي من حلوان كل يوم ورغم صعوبة المواصلات لكن الراحة النفسية التي تغمرني كلما نظرت من شباك النقطة لتلتقي عيوني بالمأذنة والقبة تشدني إلى المكان .. مشاكل الأمين نبيل ليست في حفظ أمن السيدة نفيسة ولكن في السكن الذي يبحث عنه دون جدوى منذ أربع سنوات هي عمر خطبته لزميلة في كلية الآداب .. فالأمين نبيل يدرس بكلية التجارة وقد وصل الآن إلى السنة الثالثة بها ..

أمين الشرطة الثاني المكلف بحفظ الأمن في المنطقة هو عيد كامل عبد المقصود .. ست سنوات أمضيها هنا ولم أشهد جريمة واحدة ..

مشكلة الأمين عيد الشخصية هي نفس مشكلة الأمين نبيل فمنذ سنوات ثلاث وعيد عبد المقصود يبحث عن مكان يضمه وفئة أحلامه التي تمنها

وانتظرها طويلا .. الأمين عيد قرر أخيرا أن يقطع نصف الطريق .. سيتزوج
في الشهر القادم ويقيم مع أهله في المحلة الكبرى ويأتى إلى مكان عمله طيلة
الأسبوع كما كان ولعروسه يوم الأجازة فقط ..

نهاية ليست سعيدة كما نرى في الأفلام .. !!

أسطورة ليلي ..

أتقدم خطوات أخرى في الحارة ندية النسمات .. وقبل أن أمد يدي
لأدق على الباب الكبير المقفل على أول الأحواش يهل من طرف الحارة البعيد
وجه مليح تحمله رقبة طويلة على قوام ممشوق تبتسم ملاحظها في وداعة
وهدوء .. رغم الثوب الأسود الفضفاض فرشاقة قدها لا تخفى على العيون ..
هتف الصبية الصغار الملتفين حول .. أبلّة ليلي .. أهه ..

مرت ليلي بجوارى وألقت السلام في صوت خفيض وهى تحمل صينية من
الألومونيوم الرخيص عدة الشاي ..

وكانت الحدوتة ..

بداية ليلي شعبان عبد الجواد منذ خمسة عشر عاما كانت في مكان آخر
تماما ..

بدايتها كانت بكازينو صفية حلمى بميدان الأوبرا راقصة تبرز وسطها كل
ليلة لرواد المكان وبعد انتهاء غزبتها تجالس الرواد ..

أعوام خمسة عشر ويلي تمارس نفس العمل في نفس المكان .. لا تفكر في
أى شيء عدا ما ستقدمه في الليلة التالية من جديد للرواد .. وتزوجت ليلي ..
وانجبت بنتا وولدا أخذوا عنها الجمال ..

وفجأة .. ألم بها مرض شديد حار فيه الأطباء .. ظلت ليلي تعاني من
الصداع المستمر ليل نهار لمدة عام ونصف عام ..

تغيرت معالم وجهها بفعل الألم المستمر وأنفقت الكثير لتعود لها البسمة
التي تبها لرواد الملهى ولكن لا فائدة ..

وجاءت إلى السيدة نفيسة تدعو ربها .. وكما مرضت فجأة .. شفيت
فجأة ورحل عنها الصداع .. !!

وتقول ليلي ..

في أيام قليلة انكشف أمام عيني عالم بشع رهيب هو ما كنت فيه ..
أصبح الموت عندى في كفة وأن إلى الرقص ومجالسة الزبائن في كفة أخرى ..
شعرت أن مصيرى ارتبط بالمكان .. وأنى لن أطيق بعدا عن الست بعد
الآن ..

زوجى ..؟؟

تركنى بعد أن حاول عبثا أن يردنى إلى حياى الأولى وتركت له شقة في
ميدان رمسيس وسيارة ومصوغات بآلاف الجنيهات ..

تخون ليلي الكلمات وهى تحاول أن تشرح كيف تشعر بانتمائها إلى الست
وإلى المقام ..

كل من يأتى إلى المقام يزور ليلي ليشتري منها شيئا أى شيء من الحلوى
البسيطة التى تبيعها .. والفضول جزء أساسى فى نفس أى إنسان .. ومن يقاوم
الرغبة فى رؤية الراقصة التى خلعت ثياب الرقص وارتدت ثياب الزاهدين بعد
زيارة المقام ..؟؟

مفاجأة بين القبور ..

أمد يدي أخيرا لأدق على باب أول الأحواش .. الدق على الباب الخشبي
يرن فى انحاء الحارة الضيقة الساكنة ويفتح الباب عن وجه شديد الحلاوة
لشعراء مصبوغة الشعر بالحناء .. وفى يديها قطع الغسيل ..
زينب حامد على سليم تتحرك وورائها أفخر المفروشات تتناثر بين عدة
قبور داخل الحوش .. قالت ..

مالها الترب ..؟؟ راحة وهدوء .. البداية والنهاية هنا مش محتاجة لواعظ
يشرحها ..

أخاف من أيه ..؟؟ ده اللى يخاف مايققاش مؤمن ..

عندى راديو وتليفزيون وغسالة وجوزى نجار مسلح أد الدنيا ..
أطلع أروح فىن ..؟؟ ده أنا طول عمرى هنا .. وبعد ما أموت برضة
هنا .. أصل ابويا هو الترنى بتاع الحوش ..
المستقبل فى علم الله .. لكن كل منايا البتر وتربية الأولاد ..

المفاجأة الثانية ..

لم تكن الشقراء الشعر وسط القبور هى المفاجأة الوحيدة فى حارة السيدة نفيسة .. على بعد خطوات فى الحوش المجاور .. وبمجرد أن انفتح الباب فوجئت بمهرجان من الألوان الزاهية يستقبلنى وقطع من الستان اللامع تتطاير حول خشبة مسرح صغير للعرائس يحتل بملحقاته مساحة من الحوش .. أمام عيني مسرح عرائس حقيقى فيه الراقصة المغنردة التى تلمع حول وسطها حبات الترتر الصاخبة .. وتعلب متقن الصنع .. وديك .. وسلطان مهيب كبير العمامة وشهرزاد صغيرة بعباءة مغرية مطرزة بالألوان .. وبجوار كل ذلك وقف الفنان .. عم على عبد البارى صالح يقترب من الستين لكنه يحتفظ بحيوية بالغة وأصابع غاية فى البرونة يحرك بها عرائسه من وراء الستار ..

من حبه للأطفال وأولهم اولاده دلال ومايسه ومنى وعمر وحياة الذين أصبحوا الآن كبارا صنع عم على هذا المسرح المتنقل للأطفال .. كانت حياته من قبل تدور فى تلك الأسلاك الكهربائية والأجهزة التى تعطل فجأة فتحتاج إلى من يداويها ..

فى يوم ما وهو فى الثامنة والخمسين قرر أن يكون لحياته هدف واختار رسم ابتسامة على شفתי طفل محروم من الثقافة والترفيه وما أكثرهم .. هم يملأون كل حارة وشارع فى الأحياء الشعبية فى القاهرة المعز .. وبدأ عم على يتسلل إلى عالم العرائس دون أى خبرة إلا من رغبة قوية فى عمل شئ بهيج للصغار ..

دفع كثيرا فى البداية .. دفع تحوشة العمر كلها ليتعلم كيف يصنع عروسة وكيف يحركها .. استعان بمن يصنع له العرائس ومن يؤلف قصة ويضع موسيقى وتكلف كل هذا مبلغ الـ ١٥٠٠ جنيه التى انفق عمره فى ادخارها ..

قال لى .. نفسى أعلم الطفل المصرى فى الحوارى والقرى والنجوع على لسان العروسة إن الطلاق بيكسر القلب ويقتل الطموح ويطفى البهجة ..

والتحمت الدموع في عين الكهل الذى مازال يذكر انه نتاج أسرة حكم عليها الطلاق بكسر القلب وقتل الطموح وضياح البهجة من النفس ..

عم على يحتضن العرائس ويقدمها لى كأنها أولاده فعلا .. لكن المسرح بلا صوت .. ففى اللحظة التى كان من المفروض أن ينطق فيها توقف العمل كله لأن النقود نفذت والمسرح يحتاج إلى جهاز تسجيل كبير ليصل صوته إلى أذن كل طفل ..

لم يجد عم على ما لا يشتري به الجهاز بعد أن أنفق كل شىء فى سبيل مسرحه الصغير .. اتجه عم على إلى بيت صغير لأمه يملك فيه قراريط على المشاع .. عرضه للبيع فلم يجد شاريا لهذا النصيب ..

لكن لان للقصة الجميلة البداية .. من نهاية .. فهل من محب للأطفال وللفن الإنسانية يد يده لعم على بثمن الجهاز ولوعلى سبيل القرض كما أوضح .. واصر ..

أليست كرامة جديدة للست أن يوجد عم على فى جوارها ليمنح سنوات عمره الأخيرة للأطفال .. أحباب الله ..؟؟

شهيد هوى بلاده ..

الصبية الصغار الذين لاحقوني منذ وصولى مفتونين بجهاز التسجيل الصغير وبالاهتمام المفاجىء بحارتهم الصغيرة الضيقة أصروا على أن يصحبوني إلى حوش قديم فى نهاية الحارة مصرين على أن فيه شخصا هاما .. لابد أنك ستعرفينه يامدام !!

مشيت معهم فوجدت نفسى فى حوش مهجور تأكلت درجات سلمه وانخلع بابه ووجدت عمودا رخاميا صغيرا يستقبلنى بكلمات محفورة عليه تقول أن المدفون هنا « هو شهيد هوى بلاده الزعيم الوطنى الكبير محمد بك فريد » ..

بحثت عن الترنى الذى يزعى المدفن فقالوا لى إنه موظف ضباحا وترنى فى المساء .. وجاء أحد أقاربه فقال لى إن جثمان الزعيم الكبير نقل منذ فترة إلى القلعة بجوار رفيقه فى الكفاح مصطفى كامل وإن الحوش للعائلة الآن ..

خرجت في طريقى إلى الميدان والشمس قد أخذت طريقها للمغرب وقبل
أن أخرج من الحارة تقابلت مع آخر من يسكنها من الأحياء .. انه نصر عبد
العزیز محمود قال ..

أنا من سوهاج ..

عندى كشك مرطبات في ميدان السيدة نفيسة وكنت في الأول جزار
نزلت المذبح كلونى المعلمين الكبار ..

أول ما نزلت مصر قرايى الصعايدة عايزين يكرموني قالوا لى نقى القرافة
الى تعجبك تسكن فيها وترتاح ..!!

سكنى القرافة منفعة للجميع .. أصل الحوش الى مش مسكون يتخاف
على شبايكه وأبوابه تنشال .. كان احنا معمرين الاحواش ومانعين منها
الحوادث .. لكن بقى ولا مؤاخذه ساعات أصحاب القرافة يضايقوا الساكن
فيها .. لما يموت لهم ميت وييجوا يزوروه ويطولوا فى القعاد ..

ويا عم نصر عبد العزیز محمود .. عجبى ..!!

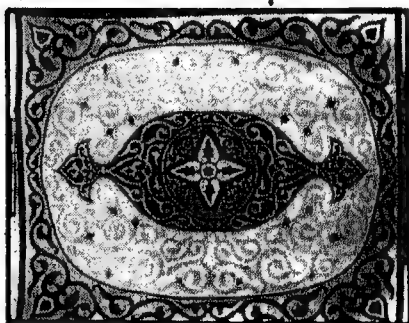
ومدد .. يا نفيسة العيون ..

في خارج الحارة .. وبعد أن أذن المغرب للصلاة كان ميدان السيدة
نفيسة قد امتلأ بالعربات الفاخرة والبسيطة وبالناس من كل صنف ولون ..
وكان أصحاب العربات والمترجلين كلهم في داخل المسجد الكريم ..
وأحسست نسمة ندية من بيت آل النبى بكل طهره ونقاؤه تهل على وأنا
أودع المكان ..

ومدد ياست .. مدد يا طاهرة .. مدد ..!!

.....
.....
.....
.....
.....

الخيمة



عاش بها ٣٠٠ خيمى أصبحوا خمسة
الآن .

هنا فرشوا مفررة توت عنخ آمون ..
وصدروها إلى أمريكا ..

الخيامية متعة حقيقية للعين .. والروح .. والقلب الخلى ..
فى الخيامية أصابع فنانة تعزف بالألوان أغنية شجية كلها طرب .. وتقاسيم
عجب ..

وليس أعجب من الخيامية الآن فى العالم كله .. ففى كل العالم ليس هناك إلا
خيامية واحدة .. ولا يصنع ما يصنعون فى الخيامية أحد ..
الأصابع فى الخيامية فنانة .. والقماش وتر عود شرقى أصيل .. وما تخرجه
الخيامية للناس أنغام بالجمال صراحة ..
العز عمره .. ألف عام ..

من تحت بوابة المتولى فى آخر شارع الغورية .
وابتداء من مسجد الصالح طلائع الأثرى الكبير تبدأ الخيامية ..
شارع ضيق كله مسقوف .. وكله أيضا قديم جدا قدم التاريخ الذى يحكى
أن الخيامية عمرها من عمر الدولة الفاطمية ودخول المعز القاهرة لأول مرة أى
منذ أكثر من ألف عام ..

الشارع كله ليس فيه للعمارة الحديثة مكان .. وإنما كله بيوت أثرية بعضها
تهدم والبعض قائم .. لكن هيكل الشارع كله مازال قائما متاسكا بصفتيه اللتين
تكثر فيهما المشربيات الخشبية القديمة .. وسقفه الذى يمنع الحر فى الصيف ويحفظ
الدفع فى الشتاء ..

وفى إحدى حاراته وهى حارة « قصبة رضوان » يكمن العز القديم كله لهذا
الشارع العجيب .. ففى قصبة رضوان آخر من بقى من دلائل العز ..
خمس فقط من خيامية المنطقة الذين كانوا عام ١٩٣٥ ثلاثمائة على وجه
التحديد ..

دهشت عندما وجدت الحارة الضيقة التى تعلو فيها مياه المجارى ممتلئة

بأعداد كبيرة من السائحين جميعهم يقفون في صمت خاشع أمام الدكاكين الخمسة وبين الحين والحين تنطلق « أوه » بمختلف اللغات تعبيراً عن العجب والإعجاب .. وعلى الكنبه الاستامبولى المغطاة بالحرام البلدى المتعدد الألوان يجلس رجل فى أواسط العمر أو اواخره والإبرة فى يده تصنع عجباً من الفن على القماش ..

الفن بالفطرة فقط

داخل الدكاكين الضيقة رأيت فناً رقيقاً بجميع الألوان .. فى أول دكان تقدمت لأتحدث مع الشيخ الوقور الذى كان ينقش بأصابعه وبالإبرة على القماش السميك نقوشاً بديعة بمختلف الألوان من خلال قصاصات أقمشة من كل لون ..

منذ خمسين سنة والحاج حنفى محمد ابراهيم فى نفس هذا الدكان الصغير يعمل بيديه وبإبرته على القماش .. يطرز القماش بمختلف الألوان ويخرج تحفا حقيقية من صنع يديه ..

أحسست وأنا أجول بعينى فى الدكان المتواضع الصغير أن الحروف والكلمات قد تقصر فى إعطاء الوصف الحقيقى لما أرى .. فلا بد من أن تحتوى العين ذاتها كل هذا الجمال لتعطيه قيمته الحقيقية ..

كان الدكان ممتلئاً بمربعات ومستطيلات من القماش المشغول بنقوش إسلامية زخرفية فى تناسق ودقة تامة وبمختلف الألوان .. وعلى بعض الحوائط قطع أخرى تمثل مشاهد من الحياة الفرعونية القديمة كلها أيضاً بقطع القماش .. الصور الفرعونية بالذات حية متحركة والحركة فيها منضبطة تماماً .. فالساق مثلاً متناسقة تماماً مع باقى الجسم وحركة اليدين فى مكانها تماماً وكأنها قد رسمت بيد فنان دارس للتشريح ولجسم الإنسان .. لكنها .. كانت ويا لعجب ما سمعت كلها من رسم وتصميم وتنفيذ الحاج حنفى الذى لا يعرف لا القراءة ولا الكتابة ولا الرسم من قبل بطبيعة الحال ..

لكنها مصر .. مصر المليئة بالأسرار !!

الحاج حنفى « خيمى » وهذا هو اسم كل من يصنع هذا الجمال أباً عن

- جد .. بدأ فى الصنعة وعمره ست سنوات ..
- قال : مترى فى الشارع ده .. وروحى فى الشارع ده .. !! أصل الصنعة دى ولا مؤاخذه غيه ونا غاوى .. !!
- مفيش حاجة هنا تتعمل أبدا على الماكينة .. كله باليد وده السبب فى غلاوتها .. لكن يا خسارة الصنعة قربت تنقرض من الحتة ومن مصر كلها .. الى بيموت منا ما بيطلعش غيره .. وما فيش حد من الصغيرين عايز يتعلم .. !!
- عددنا حوالى ٤٠ خيمى فى المنطقة كلها .. هنا فى الشارع خمسة والباقي ما يخرجوش عن حدود الدرب الأحمر ..
- سألته .. كيف بيدأ الخيمى الصغير فى الدخول إلى عالم الألوان هذا ؟؟ ..
- قال : الغلام بيتدى الأول فى الترك .. الترك ده عبارة عن قماش الشوارد والصواوين .. حته قماش خمسة متر ونص فى ثلاثة إلا ربع .. بيتدى الصبى يتعلم فيها عشان مساحتها كبيرة وشغلها كثير لو إيدته إتهزت أو حودت بالإبرة غلط ما يبان فى الشغل الكثير ..
- الترك ده ثابت أشكاله فى كل مكان .. هنا زى اسكندرية .. زى أسوان .. شغل زمان يعنى ..
- من خمسين سنة كانت حته الترك تاخذ شغل شهر وتتباع باتنين وعشرين جنيه .. النهاردة تاخذ برضه شهر وتتباع بميت جنيه .. ليه بقى .. ؟ الإيد الشغالة بقت قليلة .. والصنایعى مفيش ..
- أغلب شغلنا فى الترك لمحلات الفراشة .. طول عمرنا بنخدمهم .. وشغلنا غطى قلبى وبحرى لكن ..
- وهنا اكتسى صوت عم حنفى بكلالة من الأسى وهو يقول :
- الزمن ده بقى زمن التقليد .. الفراشين دلوقت إخترعوا الترك المطبوع بنفس النقشة ونفس الألوان ويأجروه زيه .. زى شغل الإيد تمام .. نفس الثمن والزبون يتغش فيه ..
- لكن أقولك إيه .. أنا مش عشان شغلى .. أنا قلبى على الناس .. أحب أقول

إن الترك التقليد مجهز بالبنزين والجاز .. أى شرارة تطير فى الصوان تطيره
ويبقى فى خبر كان ..

● تصدق أنا سمعت عن صوان اتحرق كله بالشكل ده أصل كان من القماش
المطبوع ..!! ..

حاولت أن أغير مجرى الحديث لكن عم حنفى كان تأثره شديدا من
« اختراع » الفراشين « الخبيث » الذين يحاولون حرمان الزبون من التمتع بالفن
الأصيل كلما أصابته مصيبة وتحتم عليه أن يقيم « صوان » ..

● إستطرد عم حنفى منفلا .. الواحد أحسن يدفع قرش زيادة ويعمل الشئ
بالأصول .. مش كل يوم الواحد بيعمل « صوان » .. ثم إن الترك شغل
اليد يعيش كثير .. يعيش ٢٥ سنة .. لكن المطبوع مرة واثنين فى الشمس
تروح ألوانه ويهت ..!!

لمن تباع يا عم حنفى ..؟؟

● أبيع لتجار خان الخليلى والفراشين والسياح ..

● تجار خان الخليلى ياخذوا الشغل الفرعونى .. ياخذ الحقة زى دى بسة
جنيه .. يبيعها بعشرة جنيه .. معذور .. أمال إيه .. عنده مظاهر ومحل
وعربية وبيصرف عليها .. والسياح غاويين الشغل العربى الإسلامى
ويفضلوا يتأملوا فيه .. واحنا بنشتغل كثير .. لكن بقى فيهم خصلة
حولة .. ييصوا بالعين لكن ما يلمسوش القماش هما الى بيخافوا الشغل
يتوسخ ..

عم حنفى يذكر أيضا بكل فخر أنه أمضى شهرا كاملا يدرس لبعض
مدرسى كلية الفنون الجميلة كيف يزخرفون القماش بالإبرة والخيط وكانوا
جميعا الله يسميهم بالخير يحترموني اخر احترام ويجلسوه ساعة الدرس على ترايزة
عالية عن الجميع ..!!

حكاية رضوان ييه

أنزع نفسى انتزاعا من دكان عم حنفى ابراهيم لأستأنف الجولة ..
الخيامية لإسم الشارع الأثرى الطويل والجزء الذى يحتوى صناع الخيم منه

هو حارة « قصبة رضوان » أو قصبة الأمير رضوان بليك مملوك الملك الناصر قلاوون وعرفت الحارة بهذا الاسم بعد بناء الأمير « قصبة » أى وكالته المعدة لبيع المراكيب اليدوية عام ١٠٦٠ هجرية .. !!

أما البناء الكبير الذى يمتد بطول الحارة وتطل مشربياته عليها فهى الدار « القردمية » التى بناها الأمير الجائى الناصر مملوك الناصر قلاوون ثم سكنها من بعده الأمير جمال الدين محمود بن على الاستادار ثم آلت أخيرا إلى رضوان بك الذى سميت الحارة باسمه « أى كلهم ممالك فى ممالك » والدار مازالت واجهتها حتى الآن سليمة وجزؤها الأسفل كله دكاكين صغيرة أما داخلها فمتهدم ..

فجأة إنطفأ النور فى الحارة كلها .. وبدأت بوابة المتولى فى الظلام أضخم مما هى حقيقة وهى تلقى بظلمتها من بعيد فى الضوء بالضئيل .. وفى خمسة دكاكين فى الحارة هى دكاكين « الخيمية » ظهرت على الفور الكلوبات القوية الضوء وعادت الظهور إلى الانحناء والإبرة تروح وتجيء على القماش فالعمل لا يجب أن يتوقف لأى سبب من الأسباب ..

الأوزى فنان .. عالمى ..

وفى داخل دكان آخر صغير كان صلاح الأوزى وهذا لقبه يواصل العمل تحت سقف من القماش المطرز كله بالألوان ..

تكلم الأوزى عن فهم عميق لما تقدمه يده .. قال ..

● أنا مش فنان شعبى مصرى وبس .. أنا فنان عالمى .. !!

● مفيش حد فى العالم كله بيعمل اللى أنا باعمله .. !! عشان كده زعلان من الإهمال ..

● هل أنا مش زى متقال قناوى متقال اللى سافر برة ولف العالم ..؟؟ ..

● أنا مش باقول حاجة .. هو برضه فنان ع العين والراس لكن بشر فى .. أنا لو رحت فى أى معرض فى الخارج بالشغل اللى باعمله ده . ادخل عمله صعبة للبلد بالآلافات .. !!

● هموم الصنعة كثير .. وما فيش خد واخذ باله إن كنز من كنوز مصر

حايضيع ويندفن في التراب ..

● فين اهتمام الدولة وفين تدريب الصغار ..؟؟ والحقونا عشان الفن ده ما ينتهيش !! ..

● كان فيه مشروع من سنين في قصر ثقافة الغورى لتدريب الأولاد على شغل الخيمية وبعدين .. انتهى تمام .. أنا مستعد للتدريب وغيرى كان .. لكن مفيش اهتمام ..

● أنا أغلب شغلى حاليا للخواجهات .. مسز براون في المعادى غاوية الشغل الإسلامى .. بيتها كله مخدات وستاير ومفارش من تحت إيدى هنا .. وأمريكا بيعتوا ياخذوا شغلى من هنا وبيعتوا لى زبائن كثير .. وحاليا باعمل سقف من القماش المطرز إسلامى حايروح سويسرا في مطعم هناك ..

● أحلى حاجة عملتها .. مقبرة توت عنخ آمون كاملة بالقماش وبالرسومات طبق الأصل .. طلبها واحد أمريكانى وفرش بيها أوده بحالها .. فصلتها له على مقاس الأودة تمام اللى يدخلها كأنه تمام في مقبرة توت !! ..

أطلعنى صلاح الأوزى على ألبوم كامل مصور به مقبرة توت عنخ آمون كما نقشها بالقماش وأشياء أخرى كثيرة تحف حقيقية من صنع يديه .. ومع كل صورة كنت أهتف بصدق .. « تسلم إيديك » !! ..

في مواجهة دكان الأوزى يقع دكان عم سيد سيد الضو .

وكان ضوء الكلوب القوى يكشف عن آيات من جمال صنع اليد على الحوائط في لوحات كبيرة بديعة لرمسيس الثانى في إحدى مواقعه الحربية وحوله القواد في المركبات وفوق الخيل إلى جانب لوحات بديعة من النقوش الإسلامية الرائعة التى لن تستطيع الكلمات أن تصفها وإنما يجب رؤيتها رؤية العين ..

الحسن في الدنيا ألوان ..

على الكنية الاستامبولى كان عم سيد يتربع يعمل بيديه وبالإبرة في صنع مفرش سرير محلى كله بالنقوش الإسلامية بألوان كثيرة ..

شئ وحيد كان يندهش له عقل طيلة وجودى فى قصبة وضوان بيلك
بالخيامية .. وهو .. كيف يتأتى لشخص لا يعرف القراءة ولا الكتابة أن يتقن
الرسم بهذا الأسلوب الذى رأيته فى اللوحات الفرعونية بتفاصيلها ..؟ والنقش
العربى الإسلامى بخطوطه الكثيرة المتشابكة .. كيف ..؟؟ كيف لا يشرّد
خط .. أو تنحرف زاوية ..؟؟ .

أخرج عم سيد الضو من الأكياس كنوزه المتمثلة فى لوحات عديدة
وأشكال شتى ..

عم سيد عاصد أيام عز الخيامية أيام كان ثمن الكيلو من قماش قلعة
المركب بخمسين قرشا والذى بلغ اليوم ثمنه ١٨٠ قرشا .. وكان متر القماش
الجاوى الأحمر ستة قروش ويبلغ ثمن متر التيل الأحمر الآن ٥٥ قرشا ..
ويشترى الخيمية كل هذه المواد من السوق وبأسعارها العادية مثلهم كأى فرد
آخر فليس لهم حصص من الأقمشة تصرف لهم كموايد للصناعة كبقية
الحرفيين ..

● قال عم سيد إن السياح يقبلون على القطع المنقوشة بالنقوش الإسلامية ..
أما تجار خان الخليل فيفضلون النقوش الفرعونية .. كذلك تجار الأقصر
وأسوان .. وعموما كما قال فالشغل فى الإسلامى أصعب من الشغل
الفرعونى ..

لا يستطيع عم سيد أن يتوقف عن العمل أبدا الآن إلايد تصدأ من قلة
الشغل كما يقول لذلك يحدث أحيانا أن يتكوى الشغل فيضطر إلى الذهاب بنفسه
إلى خان الخليل لعرضه على التجار هناك بدلا من انتظارهم أن يأتوا هم للشراء
وطبعا بين الوضعين فرق كبير ..

بجانب دكان عم سيد دكان آخر اثنين من الخيمية الشبان وهما أصغر من
فى الحارة من الخيمية سنا ..

قال حسن محمود زكى وسنه ثلاثون عاما ..

● والذى ودانى المدرسة مانفعتش .. دخلنى الصنعة غويتها .. حاكم المهنة دى
بالذات ما تصحش إلا مع اللى غاويها روحى اتعلقت بيها .. ولو قالوا لى

دلوقت تاخذ متين جنيه فى الشهر وتشتغل بيه مدير أقول لأ .. ولا دقيقة بعيد عن الإبرة والألوان ..

● أنا شخصيا باحس إنى بنى آدم محترم أوى لما السياح تقف تتفرج عليا ونا باشتغل .. باحس إنى باملك حاجة ما يطولوهاش .. دى نعمة كبيرة ..
● أنا عندى كل أسرار الصنعة مع أنى صغير .. أصل احنا عيله كلها خيمية .. أبويا وعمى .. وأخوالى ..

● الترك بتاع الصواوين ده بيتشغل على قلع مركب ويتغزل فى مصنع سمود ويتباع بالكيلو ..

● غايظنى أوى الطبع على القماش .. لكن أرجع وأقول إحنا برضه السبب فى بدعة المطبوع ده لإننا بقينا قلة وما فيش حد جديد بيتعلم .. طيب وبعدين .. لما نموت وننتهى والسياح ييجنوا يسألوا ع الخيمية الدولة حاتقولهم إيه ..؟؟ راحوا فىن ..؟؟

● على فكرة أمانة عليكم تبغوا تغييروا إسم الشارع بعد ما ننتهى ..!!

● ياترى حاتسموه من بعدنا إيه ..؟؟

إنقذوا الخيامية

كان النور الذى انقطع طويلا قد عاد الآن وأنا أتجه من تحت المشرييات الخشبية متجهة إلى باب الشارع حيث بوابة المتولى ..
أحسست إحساسا قويا وأنا أغادر الخيامية أننى أريد أن أطلق بأعلى صوتى هذا النداء ..

أرجوكم .. إنقذوا الخيامية وأهلها قبل أن تندثر وتموت إنها كنز لا يعوض ولو ضاعت وانتهى أهلها فسنبكى كثيرا .. كثيرا .. ولن يفيد وقتها البكاء ..

.....
.....
.....
.....
.....

حارة الصالحية



حارة الرضا والقناعة والحلوة والمرة .. الصالحية تحلم بالبازار ..

البازار هو حلم هذه الحارة الدائم .. !!

فحارة الصالحية التى تستظل من الشمس تحت مبخرة الصالح نجم الدين
أيوب وتجاور جامع الكبير .. وتقترب كثيرا من مستشفى الناصر قلاوون
تحلم ليلاً ونهارها وفى كل لحظة بالبازار ..

والبازار هو تعبير أهل الصنعة عن المحل الخاص الذى يمثل نهاية الكفاح فى
العمل طيلة سنوات الشباب. ليصل الشخص منهم فى النهاية إلى باب البازار
حيث يترفع أمامه على دكة خشبية فوقها شلثة مكسوه بقماش الشاهى .. يشد
أنفاسا من شيشة عجمى .. وينتظر على وش الصبح أفواج السياح تهل فى
طرقات خان الخليلى لتبدأ مع قدومها لعبة البيع والشراء .. والثراء .. !!
منتهى أمل كل شخص فى حارة سوق النحاس القديم هذه أن يكون له
يوما ما بازار .. كبير أو صغير لا يهم مثل من سبقوهم إلى العز والهناء من تجار
خان الخليلى جيرانهم القرينين جدا فى الحى ..

فى رحاب الحسين يجتمع هذان الفرعان لعائلة واحدة ..

أحدهما .. الفرع الغنى السيد .. وهو خان الخليلى بأزقته وممراته ..
والآخر هو فرع لنفس العائلة لكنه وكما فى أى عائلة أخرى .. هو الفرع
الكادح الفقير .. وهو هنا حارة الصالحية .. خط بين القصرين ..
وبينما تتضوع أروقة خان الخليلى بنسائم العز والغنى وعطر الثراء .. تفوح
بين جنبات حارة الصالحية رائحة العرق .. والكد .. والعمل المضنى
المستمر ..

لكن العلاقة مع ذلك بين الفرعين قوية متينة لا تزعزعها الأيام فكلما
الطرفين للآخر فى أشد الاحتياج ولا غنى لأحدهما عن الآخر على
الإطلاق .. !!

ولكى يعرف المرء قيمة ما تخرجه الصالحية من فنون يجب أن يجتاز الطريق

إليها مخترقا خان الخليلي ليرى نفس الأشياء التي تبدها الصالحية بعد أن خرجت من الحارة الضيقة إلى عز الفاترينات الزجاج المبطنة بالقטיפ في بازارات خان الخليلي .

مبخرة الصالح نجم الدين ..

في نهاية خان الخليلي وبجوار باب الصاغة القديم نجد مباشرة باب الصالحية العظيم .

هو باب حقيقي يعلوه بناء ضخيم كالقوس يمر الداخل إلى الحارة من تحته وتعلوه مأذنة كماؤذنة الجامع شكلا غير أنها في الحقيقة « مبخرة » هائلة الحجم بناها الصالح نجم الدين أيوب في زمانه أي في عام ٦٤١ هجرية لتتشر البخور والطيب في جنبات الحى العريق في ليالى الخميس ونهار كل جمعة .. وكان لها موظف خاص مختص فقط بإشعال البخور في المبخرة الهائلة والمحافظة عليه مشتعلا حتى تنقضى صلاة الجمعة من كل أسبوع ..

بدأت رحلتى من ميدان الحسين قاصدة شارع النحاسين أو خط بين القصرين كما كان اسمه زمان الفاطميين .. وطوال مرورى في خان الخليلي كان تحف النحاس الأصفر والأحمر والمطعم بالفضة تخطف البصر في البازارات الفخمة الكثيرة العدد .. تماما كما يخطف الأبصار سناء الذهب الكثير الذى تمتلئ به واجهات البازارات ..

كان للنحاس في خان الخليلي رونقا وطلاوة تخطف القلب قبل العين ..

الكنوز .. والجارى ..

إنتهى الخان إلى باب الصاغة وبدأت سيرى قاصدة سوق النحاس القديم بجوار مستشفى قلاوون لكن بعد خطوات قليلة إسترعت المبخرة الهائلة الحجم نظرى فاقتربت لأتمعن فيها وإذا ما وراءها يكشف عن حارة صغيرة ضيقة وعلى أرضها التربة الممتلئة بمياه الجارى في بعض أجزاؤها تتناثر كنوز خان الخليلي النحاسية التى رأيتها منذ برهة معززة مكreme وراء زجاج الفترينات .

تقدمت خطوات .. وكل خطوة كانت تقودنى إلى مزيد من الأوانى النحاسية الثمينة المشغولة بدقة والحفورة بمهارة بالغة وكلها على الأرض ملقاة ..

وتحت مبخرة الصالح نجم الدين أيوب كانت تتصاعد روائح المكرونة بالشطة التي وقف يفرغها في أطباق كلها أيضا من نحاس بائع عجوز كان يبدو وكأنه يشبه كثيرا للجدار الذى وقف مستندا إليه ..

منذ ٤٥ عاما وعم ابراهيم جودة يسكن حارة الصالحية ..
ومنذ ٤٥ عاما أيضا وهو يصنع المكرونة ويبيعها تحت المبخرة على باب الحارة .

قال .. من يوم ماجيت الحارة وهى تشتغل فى النحاس .. الصناعاتية يجيبوا النحاس القديم ويعملوا منه أباريق تحف .. وينقشوا الصوانى تخرج من تحت أيديهم سبحانك يا ربي حاتكلم لكن تقولى إيه فى الحظ .. هنا ناس مكتوب عليهم الشقا وخطوتين وتلاقى الناس الى مكتوب لهم الهنا هناك فى خان الخليلي .. وسبحان مقسم الأرزاق ..

● هنا فى الصالحية يشقوا ويتعبوا واللى يقبض ويتنعم مش من هنا ..
● الحارة طول عمرها هادية مالهش، حس خالص غير صوت الدق على النحاس .. لكن عمر ما حد اتخانق ولا علا صوته .. ولا قامت فى يوم عركة .. مش فاضيين .. الدنيا طحناهم ..

من عربة المكرونة رى عم ابراهيم ٦ صبيان و٧ بنات كلهم أحسن من بعض كما قال .. الكبيرة ناظرة فى الزقازيق وجوزها عميد فى الجيش .. وعندى محاسبين .. ومدرسين وميكانيكى .. وواحدة بس مش متعلمة وربة بيت وحنان آخر العنقود خدت دبلوم تجارة ومستنية التعيين ..!!

ومازال عم ابراهيم جودة فى سن السبعين يبيع المكرونة على باب حارة الصالحية .. والشقا والهنا له ناس .. وناس ..!!

الورد جميل ..

أترك مبخرة الصالح نجم الدين أيوب وأتقدم داخل الحارة الضيقة أنحاشي. أن أصطدم بالأواني النحاسية الكبيرة التى تسد الطريق .. وألمح شابا منهمكا فى الدق وزخرفة آنية نحاسية كبيرة لوضع أصيص الورد بداخلها .. وهو يفتح فمه ويغلقه كأنه يغنى .. لكننى لا أسمع حرفا واحدا من أصوات الضجة النحاسية التى تسود الحارة ..

عندما توقفت أمامه توقف عن الدق وعن الغناء وقدم نفسه .
مجدى حسن ...مجدى يعمل فى النحاس لحساب الورد فقط فهو يصنع
قصارى الزرع النحاسية الضخمة والمتوسطة لتجار خان الخليل ..
هذا عن العمل أما هوايته فهي ترميم النحاس القديم .. يعشق مجدى الذى
حصل على الثانوية العامة أن يعيد الحياة إلى النحاس القديم ..
عندما تقع فى يده صينية قديمة أو إبريق مكسور يبدأ معه رحلة تتمعه هو
شخصيا بإعادة نقش الصينية من جديد ..

وددت وأنا أقف داخل الدكان المتواضع الصغير لو ناديت على الدنيا
بأسرها لتأتى وتشاهد هذا العامل المصرى العظيم الذى يصنع بأصابعه فقط كل
هذا الجمال ..

كانت الآنية النحاسية المنقوشة بدقة وكأن الورود فيها تتنفس الهواء تملأ
المكان من حولنا ومجدى حسن يشرح لى رحلة لوح النحاس منذ أن يشتريه
مساحة ٧٠ × ١٦٠ سم بمبلغ عشرة جنيهات حتى يستوى تحفة جميلة تروق
لعين السائح أو تذهب لمدخل أحد الفنادق الكبيرة ..

فى تواضع قال .. النحاس الأحمر يا هانم أغلى من النحاس الأصفر ..
الأحمر نحاس نقى والأصفر ينضاف له زنك ورصاص ومواد ثانية ..

● كل قصارى الزرع دى يدوى ...الآلة ما تتدخلش فيها على الإطلاق ..
التشكيل بإيدى .. والحفر بإيدى .. والتطعيم بالفصوص والفضة بإيدى
برضه ..

● قصيرة الزرع تتكلف خام ٥ جنيه نحاس وبعدين أنقشها وأبيعها للتاجر
الكبير فى الخان بثمانية جنيه .. يعنى أجرة إيدى ٣ جنيه ..

● تاجر الخان يبيعها بخمستاشر جنيه .. وفى ساعات الرواقه بأعمل زهريات
ورد نحاس منقوش بارز ده 'بقى الشغل المخصوص .. وده ممكن التاجر فى
الخان يبيع الواحدة لغاية ٢٠٠ جنيه .. لكن أنا يحاسبنى على وزن
النحاس .. الكيلو ٢ جنيه ونص ويدينى أجرة إيدى ..

تمت بصوت خفيض بكلمات تتناول الظلم .: والعدل فرد مجدى

قائلا :

● ما فيش ظلم ولا حاجة .. أصل التاجر الكبير بيشتغل معايا ع الحلوة المرة .. لأنه بيشتغلنى باستمرار فى الحاجات البسيطة .. ولما تيجى الشغلة الكبيرة زى مقالة لوكاندة أو سراية كبيرة يشغلنى فيها أنا وغيرى لكن بالله عليكى مين حايجنى لغاية الصالحية هنا فى الجارى والتراب عشان يشتري بالرخيص ..؟؟ ..

اختتم مجدى حديثه معى بالأمنية التى تكررت على السنة أهل الحارة طول اليوم وهى أنه يحلم بيوم قد يأتى بعد ١٠ أو ١٢ سنة يجلس فيه أمام البازار الخاص به ليضمن لنجلا وتامر تعليما عاليا فى الجامعة .

المدارس الصالحية ..

الحارة كلها عبارة عن سور عظيم بعض أجزاءه مقام والبعض متهدم .. وبيوت أثرية على طول السور يسكنها الان صانعى النحاس وتتم كلها عن طراز واحد يجمعها جميعا ..

فى كتب التاريخ قيل أن هذه كانت المدارس الصالحية التى أنشأها الصالح نجم الدين أيوب عام ٦٤١ هـ ورتب فيها دروسا لفقهاء المذاهب الأربعة وأنشأ المباني خلف هذه المدارس وجعل للمدارس أحكار هذه الأبنية .

وانقضى زمن الصالح أيوب .. وما بقى من بناء المدارس بقى .. وما راح .. راح وآل ما تبقى إلى مصلحة الآثار التى تؤجرها مساكن ودكاكين ووكلات بأجرة تبدأ من ٣٤ قرشا حتى خمسة جنيهات ..

الصلاة يا مؤمنين ..

فى الحارة نحاسون كثيرون بلا دكاكين يجلسون على أرض الحارة مسندين ظهورهم إلى الحائط والقادوم والنحاس بين أيديهم .. ويبدون فى عالم آخر رغم الضجة الهائلة الناتجة عن طرق النحاس الذى لا ينقطع .. وبجانب كل منهم عدة شاي بإبريق صغير والسبوتاية مشتعلة على الدوام .. فالشاي الثقيل هو الرفيق المخلص ليساعد على التفتن وروقان البال ..



الصالحه حارة الفن الحميل



في الصالحية . « إيدين تلف في حريم »

فنجأة صمتت الحارة تماما وكفت المطارق عن دق النحاس وتلفت حولى
أبحث عن سر هذا الصمت المفاجيء فوجدت الجميع فى أماكنهم وصوت
الآذان يسرى فى الحارة قادمًا من مأذنة جامع قلاوون .. !!

* * *

. قبل أن أتجه إلى من يجلسون على الأرض لفت نظرى باب كبير يكشف
عن مساحة واسعة لا يمكن أن نطلق عليها وصف المحل وإنما هى وكالة كبيرة
من وكالات زمان .. وعلى مدى البصر يلمع فى جنباتها النحاس بنوعيه الأحمر
والأصفر من كل ما يخطر على البال أن يصنع منه .. من الحلل والأوعية الكبيرة
والمصافي إلى جانب الأباريق والصواني وأطباق الزينة والنحاس المشغول ..
قادتني خطواتي داخل الوكالة التي كانت معتمدة لا يضيئها غير ضوء النهار
المتسلل إليها من الخارج مما يضاعف من لمعان النحاس .

وتقدم صاحبها ليرحب بي فى شطارة التجار متسائلا نحاس عروسة .. ولا
فرداني .. ولا أنتيكة ..؟؟

لا هذا ولا ذاك .. أبحث يا حاج عما وراء أكوام النحاس هذه من
قصص وحكايات ..

تخاذل الحاج قليلا فى ترحيبه بي عندما تبين أنى لست زبونة ثم بدأ
يحكى ..

- الوكالة دى عمرها ٨٠ سنة عن ابويا وجدى ..
- طول عمرنا نحاسين .. نجيب النحاس من اسكندرية حجر خام ونشتغل فيه
كل الأصناف اللى شايفاه هنا ..
- كل اللى انت شايفاه عبارة عن كل شئ يصنع من النحاس حتى صابجات
الرقص الشرق ..

واستطرد الحاج محمد موسى صاحب الوكالة يقول :

- أنا حضرت رطل النحاس باربعة صباغ دلوقت الكيلو باتنين جنيه ونص
يعنى. تقريبا الرطل بجنيه .. والطن بألفين جنيه .. بعد التصنيع ينقص ١٠٪.
- النحاس لسه ملك السوق .. ما اعرفش الألومونيوم يكسبه ليه بقى ..؟؟

النحاس عمره طويل .. حتى لما يتكهّن يتباع بفلوس لكن الألومونيوم يعيش بالكثير ست شهوز وبعدين مالوش تمن ..

● الشغل بخير والحمد لله وعرايس الأرياف مازالوا مخلصين للنحاس ..

العروسة المتوسطة تتجهز بحوالى ١٢٠ جنيه نحاس .. تاخذ طشت غسيل .. وحلة غسيل و٧ حلل « وأروانة » .. وصوانى فرن وصينية عشا .. أما العروسة بنت العمدة فنحاسها يطلع بميتين جنيه .. !!

● عشت فى عالم النحاس لما شفت الساج ياخذ قدرة الفول النحاس الأحمر بثمانين جنيه يعملها فارة وتحفة فى البيت .. !!

كان الحاج محمد موسى يبدو راضيا مطمئنا مما يدل على أن النحاس مازال سيد الموقف وأمير السوق ..

الذهب .. والفضة

بجوار الوكالة دكان أتيق فيه إلى جانب النحاس أشياء أخرى تجذب الانتباه .. حلى من الفضة .. ومعظم منتجات خان الخليلي .. أى أنه بازار متواضع فى حارة الصالحية .. صاحبه محمد عباس بدر قال ..

● أتعامل مع كل تجار خان الخليلي اللي بيتعاملوا فى الفضة أصنع هنا .. وأوزع جملة ..

الأرقام التى قالها عم بدر بعد ذلك كانت عجا .

● جرام الفضة أصبح الآن سعر ٢٦ قرشا ده تمن السوق ما نقدرش نقول فيه حاجة .. لكن مصنعية الجرام فى الشغل الثقيل الأساور والتعليق ٥ صاغ وإذا كان الشغل خفيف مصنعية الجرام خمسة تعريفة .

● الجرام بعدما يوصل للتاجر الكبير يتباع سعر ٦٠ قرش كده رضا .. مين ممكن يدرى بينا أو يبجى لحدنا وسط الجارى دى والضجة اللي ما تنطق ..

مازال الظل فى حارة الصالحية يخفى الكثير .. ففى داخل محل فضيات عمر بدر حجرة أخرى صغيرة بها عامل وأمامه منضدة صغيرة هو محمد موسى بركه الذى يعمل نقاش ذهب ..

يبحث إليه الصياغ الكبار فى الصاغة بالأساور الذهب لينقشها ويلمعها ..

ينقش محمد بركه الغويشة الذهب بقرشين فقط وحتى تصل هذه الغويشة

إلى يد الزبون تكون قد تكلفت مصنعية ما قيمته جنيه واحد فقط بعد أن مرت على التشكيل والتعريخ والنقش والتلميع ويتقاضى فيها الصائغ عند البيع ريال للجرام مصنعية إذا كانت عيار ٢١ وثلاثين وأربعين جنيهًا في القطعة عيار ١٨ إذا كانت عرض حوالى النصف سنتيمتر وبالنسبة لعيار ٢١ تكون مصنعية الإسورة التى تزيد مثلاً خمسين جراماً عشرة جنيهات يتقاضى منها محمد موسى بركة قرشين صاغ .. وعجبنى .. !!

التاجر الكبير والصانع الصغير

ما زالت الأرقام المذهلة تلعب دور البطولة فى الحارة الضيقة وأنا أتجه متوغلة فيها والدق له رنين صدادح فهو على النحاس والكل الآن أمام الدكاكين وليسوا بداخلها ..

أمام كهل يناهز الستين كان يواصل الدق على النحاس بحماس توقفت لأسمع من عزت محمود رأيه فى لعبة التاجر الكبير والصانع الصغير .. قال عن اقتناع ..

- صحيح التاجر الكبير يبدى مصنعية فى الحنة عشرة قروش لكن هو الذى يملك الزبون .. تفتكرى مين من السياح حايكلف خاطره وييجى لغاية هنا طيب .. ويعرف منين إن احنا موجودين ..؟؟
- كان أنا ما ارضاش السياح ينزل يشوف الحنت اللى زى دى بمجارىها الطافحة وبيوتها الواقعة والخرابات برضه الحان قيمة .. ونضيف ..
- آخر حاجة عملتها جوز الزهريات الفضة دول .. إتكلفوا ستين جنيه .. ومصنعتى ٣ جنيه واتباعوا عند التاجر الكبير فى الحان بحوالى ١٥٠ جنيه .
- أنا فى الصنعة من ٤٧ سنة .. وأنا عندى ٦ سنين ونفسى أقعد على باب بازار وأستريح من الدق طول النهار .
- عندى أمل إن ابنى الكبير يدخل الهندسة ويرج أبوه .. ولو ربنا إدانى البازار ندر عليا أسميه ولو بعد عمر طويل بازار الصالح أيوب وفى قلب الحان بإذن الله ..

بعد الأوانى النحاسية الجميلة والأباريق الفضية والنحاس التى تخطف

الأبصار وقعت عيناي على جزء من الحارة كل ما فيه أكوام من كسر النحاس .. قطع صغيرة كأنها القصاقيص ولكن من النحاس ..

اقتربت من المكان الذى يشع حرارة عالية نتيجة للفرن المتوهج المشتعل على الدوام .. وتقدم منى صاحب المكان الذى تبين أنه مسبك لسبك النحاس .. وقال خليل الشبكشى صاحب المسبك ..

● ده أول مسبك فى الصالحية ومنطقة الجمالية كلها عمره ٨٠ سنة .. يعمل إيه ..؟ بيشتغل ع القراضة يعنى مخلفات أشكال النحاس .. بقايا بوابير الجاز والنسر النحاسى للجيش والبوليس وتوكة الحزام .. كله بيعجى هنا نشتره من السوق بسعر ٨٢ قرش لنسبكها سبايك نحاس وبيع السبيكة تانى بسعر الكيلو تسعين قرش .. نبيع للورث الصغيرة اللى بتعمل نسر الجيش وكنك القهوة وتوك النحاس ومالهش دعوة بشغل الأنثيكة .. ده له ناس ..

مسك الختام :

كان مسك الختام فى الحارة الضيقة ما فاجأتنى رؤيته فى نهايتها .. عشة صغيرة مبنية بألواح الخشب والصفيح وأمامها معرض كامل لكافة ما تحب العين أن تراه من أشغال النحاس الجميل الدقيق .. وعلى الأرض يجلس رجل فى حوالى الستين ينقش بدقة بالغة صينية كبيرة من الفضة المطعمة بالنحاس ..

طال تأملى للصينية الجميلة فى يده حتى رفع رأسه ليتكلم .. عم محمود مصطفى نقاش الأنثيكات يعمل فى الصنعة منذ خمسين عاما .. علمه خاله الله برحمه والذى ظل يترحم عليه طيلة الحديث .. وأنا أيضا ترحمت عليه ..

● كل تحف خان الخليلي أعملها هنا بإيدى .. مافيش حاجة تصعب عليا أبدا .. والصنایعى القره ما يغلبش ..

● كليلو النحاس يتكلف عليا إثنين جنيه ونص ياخده منى التاجر متصنع بميتين وستين .. الصينية تكلفنى ١٥ جنيه ياخدها التاجر بعشرين ويبيعها بأربعين ..

● طب اسمعى .. حاقولك سر .. ساعات استلقط صينية قديمة ومكسرة
أتسوقها من سوق النحاس القديم تتصلح وتتوضب وأنقشها من جديد
ياخذها منى تاجر خان الخليلي ويسيبها من غير تنضيف ومن غير تلميع على
إنها قديمة ومن عهد فرعون والسمايح يدفع فيها ميات جنيهات .. دى شطارة
وسياحة .. آمال إيه ..؟؟

● الشيشة الأثرية اللى قصادك دى إتكلف عليا ٥٠ جنيه .. التاجر مش
حايبعها أقل من ١٥٠ وزى بعضه يا ست .. أددى احنا كلنا مصريين
وآهى فلوس داخل البلد :. عندى .. عندك .. زى بعضه .. دى أرزاق ..
وهو الرزاق ..

* * *

لم ينقطع إحساسى بالعجب وأنا أكر عائدة إلى أول حارة الصالحية .. أمر
من تحت المبخرة التى أنشأها فى زمانه الصالح نجم الدين أيوب خامس سلاطين
دولة بنى أيوب والذى قال عنه المقرئزى فى كتابه الكبير ..

عندما تولى ضبط الأمور وسيرها على نظام حسن ونظر فى عمارة أهل
مصر .. ومن محاسن آثاره المدارس الصالحية بخط بين القصرين .. تولى عام
٦٣٧ هجرية وتوفى بالمنصورة عام ٦٤٧ وعمره أربعون عاما وكان زوجا
لشجرة الدر ووالد لتوران شاه الذى تولى بعده فجاءت على يديه نهاية دولة
بنى أيوب وبداية دولة المماليك البحرية ..
ورحم الله الصالح نجم الدين أيوب .

.....
.....
.....
.....
.....

كتاب الجمهورية

يصدر عن دار التحرير للطبع والنشر

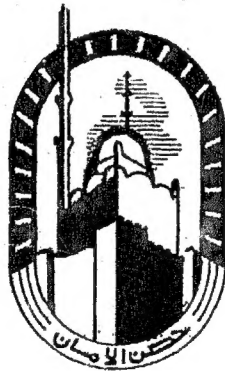
رئيس مجلس الإدارة

سمير رجب

المشرف على التحرير

فاروق فهمي

إمتياز الإعلانات : شركة الإعلانات المصرية
٥ شارع نجيب الريحاني ت : ٧٤٤١٦٦
التوزيع : شركة التوزيع المتحدة
١١ شارع قصر النيل ت : ٣٩٢٣٧٤٩
المراسلات : كتاب الجمهورية
٢٤ شارع زكريا أحمد ت : ٧٥١٥١١



مصر التأمين

حصن
أمان
للملايين

الثمن ٣٠٠ قرش

مطبعة دار الفكر
بيروت - لبنان